

وغابت  
الشمس  
ولم  
يظهر

Looloo القمر

[www.dvd4arab.com](http://www.dvd4arab.com)

مسكينة غريب

إحصاء غير القدوس



( ١ )

جلس رفعت البيومي على مقعد وثير في شقته الرائعة بالعمارة  
الفخمة المطلّة على النيل في انتظار أن يقدموا له الشاي .. شاي الساعة  
الخامسة .. إنه منذ سنوات طويله تعود على شاي الساعة الخامسة  
حتى أصبح يربط كل مواعيد عمله بشاي الساعة الخامسة .. إن  
بريطانيا أقامت كل مجدها وكل عظمتها وكل تقدمها الفكري على  
أساس تقديس تناول شاي الساعة الخامسة .. لاشك أن تناول الشاي  
وفي هذا الموعد بالذات ينشط العبقرية ويهبها موهبة البحث عن  
العظمة .. ولو أنه بدأ طريق العظمة من قبل أن يتعود على شاي  
الساعة الخامسة ..

وابتسم رفعت البيومي ابتسامة صغيرة ترسم صورة عظمته وهو  
ينظر إلى الخادم يدخل إليه حاملا معدات الشاي .. إنه ليس خادما ..



إنه رجل مهيب محترم يلبس بدلة كاملة رسميه فوق قميص أبيض منشي ومعه رباط عنق أسود معلق حول عنقه .. إنه « بتلر » كما يسميه الانجليز وليس في اللغة العربية كلمة تعبر عن صفة البتلر لأن العرب لم يعرفوا في كل تاريخهم نظام البتلرات .. إنه الرجل الذي يعتبر مسئولاً عن خدمة اللورد الانجليزى .. أو خدمة أصحاب السيادة على الشعب الانجليزى .. وهو قد وصل في عظمته الى مرتبة اللورد .. بل إن أصدقائه الانجليز عندما يأتون لزيارته يذهلون بكل التقاليد وإجراءات الخدمة التي وضعها داخل بيته .. ويذهلون أكثر وهم يطوفون بعيونهم على قطع الأثاث والتحف المنشورة واللوحات المعلقة .. إنه بيت أفخم وأروع من بيت أى لورد انجليزى. لقد دخل هو شخصياً بيوت كثير من اللوردات وتعهد أن يكون بيته أفخم من أى بيت دخله .. صحيح أنه تأثر بالذوق الانجليزى ولكنه لاشك قد ارتقى حتى بالذوق الانجليزى ..

وانحنى « البتلر » يرتب أمامه معدات الشاي ثم صب له في الفنجان وانحنى انحناءة كبيرة وانسحب متقهقراً بظهره من أمامه والبيومى يودعه هامساً كأنه لا يسمعه أن يسمعه :  
— متشكر يا جلال ..

ورفع فنجان الشاي إلى شفتيه ثم مد أصابعه إلى العلبة الخشبية التي أمامه وكأنها تحفة وأخرج سيجاراً طويلاً .. إنه سيجار هافانا

ماركة منت كريستو .. إن ثمن هذا السيجار في مصر الآن خمسة جنيهات .. السيجار الواحد بخمسة جنيهات .. من كان يصدق أنه سيصل إلى اليوم الذى يستطيع فيه أن يحرق خمسة جنيهات بين أصابعه وينفثها دخاناً .. ولكنه لم يبدأ بتدخين السيجار .. لقد بدأ أولاً بتدخين « البايب » .. كان البايب هو الذى يرمز إلى الشخصية الانجليزية وعظمتها التي يطمع في الوصول إليها .. ولكنه لم يتحمل تدخين البايب طويلاً فانتقل الى تدخين السيجار .. وكان قد اكتشف أنه حتى اللوردات الانجليز يدخنون السيجار في المجتمعات العامة إظهاراً لعظمتهم وأرستقراطيتهم .. إن « البايب » بالنسبة لهم تدخين شعبي أما السيجار فهو خاص بأفواه العظماء .. وهو قد وصل منذ زمن بعيد إلى مرتبة العظماء ..

وعاد بين رشقات الشاي ودخان السيجار يتذكر المعركة الجديدة التي يخوضها .. ويتسم ساخراً .. إن حياته كلها معارك منذ أن كان لاشى .. منذ أن كان صبياً مجهولاً غلبانا ابن المزارع المتواضع عباس أحمد عباس البيومى .. لقد اختصر اسمه بعد أن بدأ يعتمد على نفسه .. وأصبح رفعت البيومى فقط .. وقد أثبت منذ صباه أن قيمة الإنسان لا تقاس بأصله وفصله ولكن تقاس بذكائه .. الذكاء وحده .. ولذلك قد تجد أولاد عظماء يصبحون نكرات .. لاشى .. لأنهم ليسوا أذكاء .. وأولاد من طبقة عادية ومن أهالى مجهولين يصبحون كل شىء ويصلون إلى القمة لأنهم أذكاء ..



والذكاء لا يورث .. إن ما وصل إليه بذكائه لم يستطع أبوه أن يصل إليه .. لا .. لاشك أن بذور الذكاء تورث وإن كانت تختلف في نسبة نضوج هذه البذور .. فقد كان أبوه في حياته وفي عمله هو الذي أوحى إليه بالطريق الذي اختطه لنفسه ..

وعلت شفتيه الرفيعتين الواسعتين ابتسامة هادئة ورفع أصابعه يهرش في شعر رأسه الأكرت وهي العادة التي لم يستطع أن يتخلص منها .. وعاش في ذكرياته .. وهي عادته كلما خلا لنفسه .. يتذكر وهو فخور بما يتذكره .. ولكنها ذكريات لا تتردد إلا بينه وبين نفسه ، ولا يسمح لأحد آخر أن يرددها معه أو يذكره بها ، بل إنه يبدو كأنه ألغاهها وحرمها على الناس وجعل كل فقرة منها كأنها سر الأسرار .. ولكنه يتمتع بها وحده كلما خلا لنفسه .. ويراجعها فخوراً بنفسه كأنه يستعرض فيلماً سينمائياً يروي قصة حياته .. لا .. قصة ذكائه .. فحياته كلها تنحصر في ذكائه ..

لقد ولد في أوائل العشرينات .. أي منذ أكثر من ستين عاماً .. وولد في قرية كفر البطيخ .. وكان والده يملك خمسة أفدنة هناك ويزرعها بالبطيخ فعلاً .. ولاشك أن والده كان مزارعاً فالخا استطاع أن يكسب من زراعة البطيخ حتى أنه انتقل بالعائلة في منتصف الثلاثينات إلى القاهرة لكي يوفر لأولاده دخول المدارس الابتدائية ويوفر لنفسه احتياجات لا تتوفر له في كفر البطيخ .. واستأجر بيتاً فقيراً في إحدى حواري الدراسة .. وألحق ابنه رفعت

في مدرسة السلحدار الابتدائية .. إن رفعت له خمسة إخوة .. ولدين وثلاث بنات .. ولكن كل إخوته ليس لهم أثر في حياته .. إنهم حتى الآن يعيشون على ما يمد لهم به بفضل غناه ونفوذه .. هو وحده الذي ينفرد ويمتاز عنهم بكل ما وصل إليه .. إن بذور الذكاء لم تنضج في عقولهم كما نضجت في عقله ..

وقد بدأ وعي رفعت يفتح منذ وصل إلى القاهرة .. إن القاهرة شيء آخر غير كفر البطيخ .. كل هذا ليس في كفر البطيخ .. ودفعه طموحه وهو لا يزال في صباه إلى أن يخرج بنفسه من حي الدراسة .. ويحاول أن يكتشف القاهرة .. إنه عالم كبير .. كيف يعيش في هذا العالم معتمداً على مسئولية أبيه عنه وبما ينفقه عليه حتى لو كان أبوه يعتبر من أغنياء كفر البطيخ أو على الأقل من المستورين الذين استطاعوا أن ينتقلوا بعائلاتهم إلى القاهرة .. إلى الحي الفقير من القاهرة .. ربما كان الطريق الوحيد أمامه هو أن يستمر في دراسته إلى أن يصبح شيئاً غير أبيه .. مهندساً .. طبيباً .. ضابطاً من ضباط الجيش .. إنه يومها يستطيع أن يصل إلى أرقى مما وصل به إليه أبوه .. وسيكون مهندساً .. لا .. طبيباً .. لا .. ضابطاً .. ولكن متى يمكن أن يحقق ذلك من خلال دراسته في المدارس وبعد أن يحقق حلم العائلة كلها بأن يدخل أحد أفرادها إلى الجامعة .. لن يصل إلا بعد عشر سنوات .. أكثر .. وربما خمسة



عشر عاما .. وحتى بعد خمسة عشر عاما هل يمكن أن يكون شيئا ..  
من يدري .. لعله لن يصل أبدا ..

وهو في الوقت نفسه يحب أباه ويقدره ويحاول دائما أن يكتشف  
كيف يعمل وكيف يكافح لزراعة البطيخ حتى استطاع أن ينتقل  
بهم إلى القاهرة .. وقد اكتشف أن أباه لاشك يعتبر خبيرا في  
زراعة البطيخ .. حتى أنه لو كان في بلد متقدم لاستعين به لزراعة  
بطيخ مصر كلها .. لم يكتشف ذلك وهو صغير ولكنه كلام كان  
يقوله لنفسه بعد أن كبر .. ولكنه اكتشف أيضاً أن البطيخ يشغل  
كل حياة والده .. إنه يبذر البذور ثم يترك عددا من الفلاحين  
ينفذون أوامره ومعظم نشاطه يبذله بعيدا عن الحقل .. إنه صديق  
العمدة حتى لا يكاد يفارقه .. وهو أيضا صديق لمأمور المركز ..  
حتى أنه أسماء رفعت تيمنا باسم مأمور المركز في فترة ولادته .. بل  
إنه عرف أن والده وصل إلى المديرية وقابل المحافظ أكثر من مرة ..  
وكان والده يتفاخر بصداقته لكل هؤلاء .. صداقة الحكومة ..  
وربما كانت قيمته بين كل أهل البلد يستمدّها من هذه الصداقات ..  
وكان رفعت منذ طفولته وهو جرىء في تبادل الحديث مع أبيه ..  
وكان أبوه يميل إليه أكثر من إخوته فرحا بجرأته وبأنه دونهم  
لا يكف عن الكلام .. ويستطيع أن يتحدث طويلا إذا قرر الكلام  
ويصمت طويلا إذا قرر الصمت .. وكان أبوه يتحدث مزهوا  
عن زيارته للمديرية عندما سأله رفعت :

– والبطيخ يا أبي ؟!

وقال أبوه ضاحكا :

– البطيخ بابني لا يعطى الخير الا إذا كان مستندا على ظهره  
الحكومة .. الأرض ليس لها قوة الا قوة الحكومة ..

وتعلم رفعت أن أباه لا يكسب من زراعة البطيخ الا مستندا على  
صداقة الحكام .. بل إنه عرف فيما بعد أن الخمسة أفدنة التي  
يملكها أبوه كانت ثلاثة فقط واستطاع بصداقاته أن يضم إليها فدانين  
مما أثار عليه أهل البلد ولكنها ثورة لم تنزع شيئا واحدا من الفدانين  
وما لبثت أن خمدت .. وقد اكتشف رفعت أن أهل البلد لا يحبون  
أباه وإن كانوا يخافونه ولا يملكون الا التظاهر باحترامه .. حتى  
أصدقاؤه من العيال الصغار في البلده كانوا أحيانا كثيرة يتجمعون  
في لهومهم ضده ثم لا يلبثون أن يهربوا منه وكأنه ابن العمدة ..

ولكن صداقات أبيه للحكومة في كفر البطيخ لا تساوى شيئا  
في القاهرة .. لا أحد يحس به هنا .. لافي الحارة ولا في المدرسة ..  
إن معه في المدرسة طالبا يقولون أنه ابن رئيس الديوان الملكي ..  
إن مدرسة السلحدار رغم أنها مقامة في حي شعبي الا أنه كان من  
المعروف عنها أنها مدرسة حاسمة لذلك كان بعض العظماء يرسلون  
إليها أبناءهم .. وحضرة الناظر يسأل عن ابن ناظر الخاصة ويستدعيه  
إلى مكتبه كل يوم .. وكل المدرسين يحادثونه في رقة وتدلليل رغم



ما كان معروفا من غلظه وقسوة في ضرب التلاميذ... لم تمتد يد أبدا على ابن ناظر الخاصة.. حتى الطلبة كانوا ينظرون اليه من بعيد كأنه من عالم محرم عليهم، ويطيرون بالسعادة إذا أقدم مرة ليلعب معهم في حوش المدرسة.. وأن كانوا من ورائه يسخرون منه ويطلقون عليه شتائمهم.. وكان معه طالب آخر قيل أنه ابن وزير.. إنه يلاقى نفس الرعاية والحب من حضرة الناظر والمدرسين وإن كان هذا الطالب أقل تكبرا من ابن رئيس الديوان، والناظر والمدرسين أقل تدليلا له.. وهو.. رفعت.. إنه لا يساوى شيئا ولا أبوه يساوى شيئا.. ويجب أن يكون شيئا أكبر من ابن ناظر الخاصة وابن الوزير.. مهما يحاول أن يفعل كأبيه ويصادقهما باعتبارهما من أبناء السلطنة.. أبناء الحكومة.. بل كان يكرهما ويحقد عليهما وتدفعه أحلامه لأن يكون أهم منهما وأعظم..

ودفعته أحلامه وهو لا يزال في المدرسة الابتدائية إلى إدمان قراءة الصحف.. وكان يجد دائما طريقا للحصول عليها.. وكان يقرأ كأنه يبحث عن شيء.. يبحث عن القوة التي يستطيع أن يستند عليها حتى يصل إلى أكثر مما وصل اليه أبوه باستناده على قوة الحكومة.. وكان في الوقت نفسه قد استطاع التقرب من شبان حي الدراسة الأكبر منه وكان يجلس بجانبهم يستمع إلى أحاديثهم السياسية وإلى أسرار التنظيمات التي يعدونها للقيام بمظاهرات ضد الإنجليز..

وعقله لا يكف عن التفكير في البحث عن الطريق الذي يؤدي به إلى الاستناد على القوة.. إنه ليس مفتنعا بالاستناد على قوة الحكومة.. أن الاستناد على قوة العمد والمأمور والمحافظ يكفي إذا كان يقيم في كفر البطيخ.. ولكن الاعتماد على الحكومة وهو في القاهرة صعب.. لا يمكن أن تكون له قيمة بالنسبة للحكومة إلا إذا كان من أبناء الحكام.. حتى الاعتماد على القصر الملكي.. لا يمكن أن يحقق له طريقا سهلا.. وهو لا يدري كيف يصل إلى القصر.. ولكن ما هي القوة الحقيقية في مصر.. ما هي القوة التي تحكم ويستطيع أن يحكم معها إذا وصل إليها.. إنها قوة الانجليز.. أن كل الناس تكره الإنجليز ويثورون ضدهم.. ولكن ربما كان هذا يجعل الطريق سهلا أمامه للتقرب إليهم والاعتماد على قوتهم إذا استطاع أن يكسب ثقتهم..

وظل هذا الرأي يتمكن منه دون أن ينصح عنه لأحد ولا حتى لأبيه.. بل إنه كان يعتمد أن يدارى هذا الرأي بأن يتقرب أكثر إلى شبان حي الدراسة الثوار، واستطاع معهم أن يتقرب إلى عدد كبير من تنظيمات الثوار بل إنه ذهب إلى بيت الأمة بين المتظاهرين.

إلى أن حصل على الشهادة الابتدائية..

إنه لا يريد أن يكمل التعليم العادي.. لا يريد أن يدخل المدرسة الثانوية.. ولا الجامعة بعد عمر طويل.. لقد قرر أن هذا الطريق



لن يؤدي به إلى شيء من أحلامه .. ولا يستطيع أن ينظر عشر سنوات أو خمس عشرة سنة حتى يصل أو لا يصل .. وحتى وصول فلن يكون أكثر من موظف بين مئات الموظفين وإن كان سيُعتبر موظفا محترما ..

وكان أبوه حائرا فيه بعد أن نال الابتدائية .. هل يسعى لتعيينه موظفا في المديرية .. لا شك أن المحافظ لن يخبئ أمله وسيعين ابنه .. وهو بذلك سيصبح نسبيا للحكومة وله ابن فيها .. ولكن أحاسيس الأب تجعله يقبل أن يتحمل عبء ابنه أكثر وينفق عليه حتى يتم تعليمه الثانوى .. إنه يستطيع بشهادة البكالوريا أن يضعه في وظيفة أكبر .. ولكنه فوجئ بآبائه رفعت يرفض الالتحاق بمدرسة ثانوية ويقول أنه سيلتحق بالمعهد البريطاني ليتعلم اللغة الإنجليزية ..

وصاح الأب في دهشة :

— ماذا تفعل باللغة الإنجليزية يا ابني ؟

وقال رفعت في إصرار :

— إن اللغة الإنجليزية تفعل كل شيء .. لو زرعنا البطيخ باللغة الإنجليزية لكنا الآن سادة البلد ..

وانطلق رفعت يتكلم طويلا كعادته عندما تدفعه مصلحة إلى الكلام .. إلى أن أقنعه أبوه بأن يتركه يلتحق بالمعهد البريطاني .. الواقع أنه لم يقتنع فانه لم يفهم سر إصرار آبائه على الالتحاق بهذا

المعهد .. ولكنه استسلم إزاء هذا الإصرار .. وربما إذا لم يكن الأب قد استسلم لوجد رفعت طريقا للالتحاق بالمعهد حتى لو اضطر أن يهرب من العائلة .. إلى هذا الحد كان مصرا ..

والتحق رفعت بالمعهد البريطاني وكان فيها في استيعاب اللغة الإنجليزية حتى بدا كأنه طالب عبقرى بين طلبة المعهد .. وقدره المدرسون الإنجليز وأولوه اهتمامهم .. وكان هو من الذكاء والنشاط وعمهته في الكلام الطويل واختيار ما يقول بحيث استطاع أن يحيل هذا الاهتمام إلى صداقة شخصية بينه وبين المدرسين وخصوصا مسر جولدمان .. لقد كان أكثرهم طيبة وبساطة وكان يبدو كأنه في حالة سكر دائم .. إن رائحة الخمر تحيط به وتنطلق من بين شفثيه كأنها تعبق كل أنفاسه .. يتنفث خمرا .. وقد توطدت الصداقة بينه وبين جولدمان حتى أنه كان يصحبه معه بعد انتهاء الدراسة إلى الحمارية القريبة من المعهد ويجلسه بجانبه وهو يتناول الخمر .. والغريب أن جولدمان لم يكن يدعو رفعت إلى تناول الخمر معه بل لم يدعه حتى إلى رشفه ماء .. إنه يضعه بجانبه يتبادل معه الحديث الطويل والنكات دون أن يكرمه بشيء .. لعل هذه هي عادة الإنجليز .. على كل أن يعتمد على نفسه ويتحمل مسئولية إمتاع وإكرام نفسه .. وعلى كل فلم يكن رفعت يريد أن يذوق الخمر .. إنه يتأفف منها ربما بحكم البيئة التي نشأ فيها .. حتى بعد أن كبر وأصبح من الأثرياء لم يكن يحب الخمر إنما يضعها أمامه ويذوق رشفه أو رشفتين مجرد مجازاة المظاهر الاجتماعية للطبقة الراقية ..



وكان كل ما يدور في رأس رفعت هو كيف يستغل الصداقة التي اكتسبها مع مستر جولدمان وغيره من المدرسين الإنجليز للوصول إلى صداقة شخصيات إنجليزية أكبر .. للوصول إلى المجتمع الإنجليزي الحاكم .. والشهور تمضي وهو لا يستطيع الوصول إلى شيء .. ولكنه لا ييأس ..

وكانت ساعات الدراسة في المعهد البريطاني قصيرة .. ساعتان أو ثلاثا .. وفي أيامه فراغ واسع كان يعتمد أن يقضيه مع شلل الشبان السياسيين وأصبح كأنه واحد منهم مشترك بين كل تصرفاتهم السياسية وبطلع على كل أسرارهم .. لقد استطاع أن يكسب صداقة هؤلاء الشبان كما كسب صداقة الإنجليز .. وهم يعلمون أنه طالب في المعهد البريطاني .. إنه يتعلم الإنجليزية ليحارب الإنجليز بلغتهم .. كانوا مطمئنين إليه ..

وفي يوم سمع عن اعداد وطني عاجل .. سر من الأسرار .. واتخذ قرارا .. كان أول قرار يتخذه بالنسبة للمستقبل الواسع الذي عاش فيه بعد ذلك ..

وذهب إلى مكتب المستر جولدمان في المعهد البريطاني وقال له في بساطة :

— ماذا ستفعلون غدا ..  
وقال جولدمان من خلال أنفاسه المخمورة :

— ماذا سيحدث غدا ؟

وقال وهو لا يزال مدعيا البساطة وسلامة النية وكأنه لا يسعى إلى شيء :

— ألا تعلم .. لقد عرف الشبان أن المفاوضات بدأت تفشل في لندن وقرروا القيام بثورة عنيفة يهاجمون بها السفارة البريطانية بل كل ما هو بريطاني في مصر، بل قد يهاجمون هذا المعهد .. ألا تعلمون ؟

وسأله جولدمان في جزع :

— من أين عرفت ؟

وقال رفعت فورا :

— كل قادة الشباب أصدقائي ..

ونظر إليه جولدمان نظرة حائرة وقال :

— انتظر .. اجلس هنا ..

ثم رفع سماعة التليفون وسمعه رفعت وهو ينقل ما قاله له .. ثم أبعد سماعة التليفون عن أذنه وقال لرفعت :

— هل تستطيع أن تذهب للقاء أحد ؟

وقال رفعت دهشا :

— لقاء من ؟



وقال جولدمان بسرعة :

— إنه صديق يهمني لقاءك .. يريد أن يسمع منك ما قلته لي ..

وفكر رفعت بسرعة .. لاشك أنها شخصية هامة التي تريد لقاءه .. شخصية أحد المسؤولين .. إن هذا ما كان بطمح فيه .. وقال وهو يدارى حماسه :

— مستعد أن أذهب ..

وقال جولدمان في التليفون :

— سيأتى اليك ..

ووضع سماعة التليفون وعاد يلتفت الى رفعت قائلا :

— إنه مسر مالكولوم .. وستقبله في مكتبه بالسفارة .. ولا تدخل من الباب الرئيسى ولكن من الباب الجانبي .. وقدم هذه البطاقة وأنت تدخل ..

وأخرج من جيبه بطاقة شخصيه تحمل اسمه وكتب عليها كلمتين .. « للقاء مسر مالكولوم » .. ثم أعطاه لرفعت وهو يقول مبتسما :

— لا تتأخر .. أسرع ..

ورفعت بدأت تصيبه نوبة من الدھول .. كيف يدخل السفارة البريطانية .. لو رآه أحد من الشبان فلن يستطيع أن يجد تبريرا لدخوله .. وقد يقتلونه .. وهو فى نفس الوقت يستعين بكل أعصابه ليقاوم دھوله .. ليجازف .. إن الحياة تبدأ بالمجازفة .. كل الذين

وصلوا الى ما يريدون بدأوا بالمجازفة .. لماذا يبدأ جباناً ويتصور أنهم سيرونه ويهتمونه ويقتلونه .. ليجازف ..

وذهب إلى السفارة البريطانية سائرا على قدميه وهو يتلفت فى كل خطوة حرصا على ألا يفاجئه أحد ويتبعه .. وعند السفارة سار على الرصيف المقابل حتى تأكد من أن أحدا لن يراه يدخل .. ودخل وكان تقديم بطاقة جولدمان كافيا ليقودوه مباشرة الى مكتب مالوكولم ..

واستقبله مالوكولم بنظرة ثابتة جادة كأنه يحاول أن يصل بعينه الى داخل رأسه .. ثم ابتسم له ابتسامة كبيرة .. وقال ضاحكا :

— ماذا قلت لجولدمان ... كان يحدثنى كأنه يرتعش ..

وأعاد عليه رفعت ما قاله لجولدمان .. ولكن مالوكولم أخذ يسأله .. ويسأله .. عشرات من الأسئلة .. ورفعت يعتمد أن يبدو هادئا ويحجب .. وقد كان يتمنى ألا يجيب على كل الأسئلة .. ولو أنه كان يحاول أن يثبت أنه لا يخفى شيئا عن الانجليز .. واكتفى بأن يجيب ببعض ما يعرفه لا بكل ما يعرفه ..

وطالت المقابلة أكثر من نصف ساعة أثبت رفعت لنفسه خلالها انه أصبح يجيد اللغة الانجليزية .. إنه يتكلم بها كأنها لغته .. وأخيرا قال مالوكولم :



— كان لدينا بعض المعلومات ولكن معلوماتك نورتنا أكثر ..  
وسألقاك بعد غد ..

وقال رفعت فوراً وبكلمات مرتعشة :

— لا أستطيع أن أراك في السفارة .. إن دخول السفارة يعرضني  
لخاطر لا أتحمّلها ..

وقال مالوكولم مبتسماً :

— لقد التقيت بك هنا لأنى فوجئت بك ولأن الموضوع فرض  
لقاء فوراً ولكن فى المرة القادمة سنلتقى فى بيتى فى المعادى .. بعد  
غد الساعة السابعة .. واطمئن ..

وأعطاه مالوكولم بطاقته التى تحمل عنوان بيته وهو يودعه حتى  
باب مكتبه .. وخرج من السفارة كما دخل وهو يتطلع حوله خوفاً  
من أن يراه أحد .. وسار مبتعداً وقد بدأ يحس كأنه يلوم نفسه ..  
هل هذا هو الطريق الوحيد الذى يستطيع أن يصل به إلى أحلامه ..  
أن تصبح مهمته هى نقل الأخبار إلى الانجليز .. هل يرضى لنفسه  
أن يكون جاسوساً .. عميلاً .. ولكن انه لم ينقل إلى الانجليز أسراراً  
إنها أخبار عامة يمكن أن ينشرها أى صحفى فى جريدته إذا علم بها ..  
أخبار الحركة الوطنية .. أنه ليس جاسوساً ولا عميلاً انه مجرد صحفى  
ينشر الأخبار وكأنه اختار أن ينشر أخباره فى جريدته انجليزية ..  
لا .. لا .. لن يلوم نفسه ..

وعندما وصل الى البيت نقل عنوان مسر مالوكولم إلى ورقة ثم مزق  
البطاقة ودخل بها المطبخ وأحرقها .. هذا أضمن ..

وقد قامت المظاهرات فعلاً فى اليوم التالى .. مظاهرات ضخمة  
عنيفة .. ولكن السفارة البريطانية كانت قد حصنت نفسها بفرق  
البوليس علاوة على فرق الجيش البريطانية فلم تصيبها ولا طوبه ..  
وكل المؤسسات البريطانية كانت قد حصنت نفسها فلم يصيبها شئ ..  
كل بريطانيا لم يصيبها شئ من هذه المظاهرات .. كل ما أصيب هى  
ما تملكه مصر علاوة على من قتل وأصيب من الشبان المصريين ..  
ورفعت يتبع الأخبار بلا مبالاة .. إن ما حدث هو ما يحدث لكل  
مظاهره تقوم فى مصر .. حتى لو كان المتظاهرون قد استطاعوا أن  
يصلوا إلى السفارة والمؤسسات البريطانية فإذا كان يمكن أن يحدث ..  
كانت القضية الوطنية كلها ستزداد انهياراً والاحتلال يزداد تمكناً  
وعنفاً .. هذه هى آراؤه السياسية .. إنه يعتبر نفسه معتدلاً حتى مع  
حرصه على صداقة المتطرفين ..

وفى اليوم التالى ذهب إلى لقاء مالوكولم .. وقد تعمد أن يحمل إليه  
بعض الأخبار الجديدة .. يريد أن يقنعه بقيمته الإخبارية .. واستقبله  
مالوكولم بترحاب وحاول أن يقدم له كأساً ولكن رفعت اعترض  
فقدم له كوباً من الشاي البارد .. لم يكن يعلم أن الشاي يقدم بارداً  
أيام الحر .. لقد أصبح فيما بعد من هواة الشاي البارد .. واعترف  
له مالوكولم بأن معلوماته كانت مهمة فى مواجهة المظاهرات ..



وبدأ يناقشه في الأخبار الجديدة التي حملها إليه .. ثم بدأ ينظم معه طريقة العمل .. وأحس كأن بريطانيا أعلنت حاجتها واعتمادها عليه .. إنه يستطيع أن يتصل بالوكولم كل يوم وفي أى ساعة .. ويستطيع أن يكتب المعلومات على ورقة يقدمها إليه اختصارا للوقت .. و .. و .. إنه وصل معه إلى أدق تفاصيل العمل .. وعندما وقف لينصرف مد إليه مالوكولم يده بورقة مالية وهو يقول ضاحكا :

— مجرد مصاريف انتقال ولا أريد أن أعتبرها أتعابا ..

ونظر رفعت إلى الورقة المالية .. إنها عشرة جنيهات .. إنها ضعف ما يدفعه أبوه كمصاريف لهم كل شهر .. وقد كان الجنيه أيامها له قيمة تهز وترن .. ولكنه فكر بسرعة .. وذكأؤه يدور داخل رأسه كالدينامو .. لا .. لن يقبل .. حتى لو كانت العشرة جنيهات لها قيمة تصلح حاله فلن يقبلها .. وألح عليه مالوكولم ولكنه أصر على الرفض .. إلى أن سأله مالوكولم :

— ماذا تفعل بجانب دراستك في المعهد ؟

وقال رفعت وكأنه متعال :

— لا شيء .. إني أنتظر أن أنتهى من دراستي حتى أبحث عن عمل ..

وقال مالوكولم في لهجة الرئيس المسئول :

— إن المعلومات السريعة التي جمعتها عنك تقول أنك لست غنيا ولا من عائلة غنية ..

وقال رفعت وهو يمثل دور المتعال :

— هذا صحيح .. ولكنى أعمل معكم حبا فيكم لا لأني فقير ..

وهز مالوكولم رأسه مبتسما كأنه يفهم :

— على كل حال .. سنرى ..

وخرج رفعت وهو حائر مع ذكائه .. لقد رفض العشرة جنيهات حتى يفرض على الإنجليز أن يقدرونه بثمن أكبر .. إنه ليس مجرد شحاذ يريد أن يأكل .. إنه صاحب مشروعات كبيرة وإن كانت كلها لا تزال مجرد أحلام .. فهل يصل مع الإنجليز إلى ما يريد .. على كل حال فهو لن يتركهم مهما كان ما يصل إليه معهم .. ومالوكولم يريد أن يكتب المعلومات التي يقدمها اختصارا للوقت .. هل يكتبها بخط يده .. إن كل ورقة منها تصبح وثيقة اتهام وإدانة له .. وكان يمكن أن يقدمها مكتوبة لو كتبها على الآلة الكاتبة حتى لا تكون وثيقة ضده .. ولكنه لا يكتب على الآلة الكاتبة .. وليس لديه آلة يملكها ويتخفى بها .. لماذا لا يتعلم الآلة الكاتبة .. لماذا لا يشتري آلة؟ ولكن كيف .. من أين .. إن أباه لا يمكن أن يدفع له مليا واحدا زيادة عما يدفعه ..



ومضت ثلاثة أيام وفوجيء بعدها بمسٹر جولدمان يستدعيه  
ويقول له من خلال ابتسامة واسعة تنفث رائحة الخمر :

— مضى أكثر من يوم وأنا أبحث عنك .. إني أحمل لك مفاجأة.

وقال رفعت ضاحكا :

— كل مفاجآتك ضحكات ..

وقال جولدمان ::

— هذه المفاجأة ستجعلك أسعد مخلوق في الدنيا .. لقد قرر

المعهد اختيار أحد الطلبة للإشراف وترتيب أوراق الطلبة الآخرين  
وقد وقع الاختيار عليك .. هل تدري كم تأخذ أتعابا لهذه المهمة ..

ثلاثون جنيا في الشهر .. تصور .. سيكون في يدك ثلاثون جنيا  
كل شهر ..

واهتز رفعت من فرحته .. إن بطيخ كفر البطيخ لا يمكن أن

يدر على أبيه ثلاثين جنيا في الشهر .. لقد استطاع في أول خطوة  
أن يكون أغنى من أبيه .. وبسرعة اكتشف أن ليس هناك عمل له

عما قاله جولدمان .. وليس مكتب عمل ولا مواعيد عمل .. بل  
العمل الذي قالوا له عنه لم يعلن .. أصبح كأنه سر لا يفصح ..

تأكد رفعت من أنه كان ذكيا عندما رفض العشرة جنيهات التي

قدمها له مالوكولم .. لقد أصبحت ثلاثين جنيا .. يقبضها في ظرف  
مغلق يقدمه له جولدمان دون أن يذهب إلى إدارة المعهد ..

وكان أول ما استغل فيه المبلغ الذي وصل إليه هو أن التحق  
بمعهد لتعليم الكتابة على الآلة الكاتبة. وبدأ يتعلم الكتابة بالانجليزية.

وعندما بدأ يتفوق فيها زاد من تعلم الكتابة على الآلة بالحروف  
العربية .. ولكنه عندما اشترى آلة كاتبة بالتقسيط اشترى آلة  
بحروف انجليزية ..

وبعد شهر استطاع أن يقنع والده بأن ينتقلوا من سكن  
الدراسة .. أنه حتى لم يعد يليق به بعد أن وجد عملا بمرتب كبير

في شركة أجنبية .. أنه يربح الآن .. واستسلم والده وتركه ينقلهم  
إلى بيت في حي الظاهر ..

إنه حتى اليهود .. ولكن اليهود هم الطائفة الراقية في مصر ..  
طائفة رجال الأعمال ..

\*\*\*

وابتسم رفعت وهو يتذكر انبهاره وانبهار إخوته عندما انتقلوا  
إلى حي الظاهر .. لقد خيل إليهم أنهم ارتفعوا إلى وجه الدنيا رغم



أن البيت الذي سكنوه كان في حارة . لم يكن أيامها يحلم بأنه سيعيش  
في مثل هذا البيت .. بيت اللوردات .. المطل على النيل ..

ودخل البتلر إليه يدعوه إلى تناول طعام العشاء .. إن العشاء  
في الساعة الثامنة والنصف كما تفرض التقاليد الإنجليزية .. وهي  
ساعة صحية .. تستطيع أن تأكل وتهضم وأنت محتفظ بكل نشاطك لا  
أن تأكل وتنام كما يفعل الأغبياء ..

وقام بحمل ذكرياته معه إلى مائدة الطعام ..

(٢)

واستطرد رفعت البيومي يسترجع ذكرياته وبين شفثيه هذه  
الابتسامة التي تقطر غرورا وتباهيا بذكائه الذي يفخر به دائما  
ويهنئ نفسه به ..

وقد مضى أكثر من عامين وهو ينسب نفسه طالبا في المعهد  
البريطاني وعندما انتهت مدة التعليم وقد نجح فعلا وكان أول الناجحين  
ادعى أنه يعد لتقديم شهادة ماجستير سترسل إلى لندن ويمتحن فيها  
هناك .. وفي نفس الوقت كان يوسع اتصالاته بكل التجمعات  
الوطنية والسياسية على اختلاف أنواعها وألوانها .. إن له أصدقاء  
بين الشبان الوفديين والسعديين والدستوريين .. وأصدقاء من  
الإخوان المسلمين والشيوعيين .. بل إنه اكتشف أن القصر الملكي  
أقام تنظيما وطنيا لحسابه الخاص يتظاهر بالدعوة إلى الثورة .. واستطاع



أن يصادق بعض شبان هذا التنظيم دون أن يصارحهم بأنه يعرف عنهم شيئا .. إنه فقط شاب وطني متحمس .. وكل ذلك دون أن ينسبه واحد من هذه الجماعات إلى الآخر .. ودون أن يثير الشك في نيته .. وعلاقته بالشبان أدت إلى أن أصبحت له علاقات بالقادة والزعماء .. كان يذهب مع الشبان للاجتماع بهم ويسمع كل توجيهاتهم ويكتشف نياتهم السياسية .. وكان يستطيع دائما أن يجد سؤالا أو اثنين ويذهب وحده للقاء زعيم أو شخصية بارزة ليسأل ويتطور بالسؤال حتى يكتشف مزيدا من الأسرار .. ولم يكن يعتمد في علاقاته على قدرته على الكلام الطويل في كثير من من المواضيع بل كان يقدم خدمات .. كان لا يتأخر في مساعدة طالب في مذاكرة اللغة الانجليزية أيام الامتحانات حتى لو كان من طلبة الجامعة .. وكان يشترك في كتابة المنشورات إذا طلب منه ويستطيع أن يسجل فيها حماسا يؤكد أنه في قمة الوطنية .. وكان يتبرع من جيبه تبرعات صغيرة لتحقيق أى خطة وطنية .. كان يبحث بنفسه عن تقديم الخدمات .. ولكنه لا يقدم خدمة إلا لمن يحتاج إليه .. والذين لا يحتاج إليهم لا يعرفهم ..

وكل ذلك جعل منه خزينته لا تفرغ من المعلومات .. وفي كل يوم يجلس إلى الآلة الكاتبة ذات الحروف الانجليزية ويكتب رسالة طويلة يضمنها كل ما جمعه من معلومات ويضيف إليها رأيه ثم يرسلها إلى مستر مالوكولم في السفارة البريطانية عن طريق مستر

جولدلمان المدرس في المعهد .. وأحيانا يذهب إلى مالوكولم بنفسه في بيته بالمعادي إذا كانت هناك مواضيع تتطلب مزيدا من الشرح .. وإعجاب مالوكولم وثقته به تزداد يوما بعد يوم حتى أنه فوجيء وهو يتسلم الظرف المغلق من جولدلمان في البار المجاور للمعهد بأنه يضم خمسين جنيهًا لا ثلاثين كما كانت ودون أن يطلب مزيدا ..

ولكنه بدأ يحاسب نفسه على انتسابه للمعهد كل هذه السنوات الطويلة .. إنه يخشى أن يعتبره شبان الحركة الوطنية مجرد موظف بريطاني وتبدأ الشكوك تثور حوله .. ثم إنه يجب أن تكون له صفة خاصة .. مهنة يعرف بها .. لن يكفيه ولن يستره الاستمرار في ادعاء أن أباه غني ويعيش معتمدا عليه مكتفيا بأرباح زراعة البطيخ .. إنه لن يستكمل شخصيته إلا إذا كان له عمل يعرف به .. وقد فكر في أن يعمل مدرسا للغة الانجليزية في إحدى المدارس الخاصة .. وفكر في أن يعمل في الصحافة .. إن أغلب المعلومات التي يحصل عليها ويخلص بها مستر مالوكولم تصلح للنشر كأخبار في الصحف .. ولكن لماذا يقتصر تفكيره على هذه المهام المتواضعة المحدودة القيمة والمحدودة الدخل .. لماذا لا يستغل ذكائه في البحث عن الطريق الذي يصل به إلى القمة .. قمة القوة والمهابة الشخصية وقمة الثراء .. لماذا لا يطمع في أن يكون شخصية من الشخصيات المعروفة المبهجة بين الشخصيات المصرية .. انه واثق في ذكائه ..



وذهب للقاء مستر مالوكولم في بيته بالمعادي وقال له وهو  
حريص ألا يبدو في كلامه كأنه محتاج أو كأنه يشحذ :

— لقد أصبحت أحس أن انتسابي للمعهد البريطاني قد يضعف  
من شخصيتي ويؤثر في نشاطي .. يجب أن يكون لي عمل واضح  
أستكمل به شخصيتي أمام أصدقائي .. وقد قررت أن أبحث عن عمل  
جديد ..

وقال مالوكولم من خلال ابتسامة خبيثة كأنه يستطيع أن يرى  
كل ما في رأس رفعت :

— أي عمل ؟

وقال رفعت مدعياً الإصرار :

— عمل حر ..

وعاد مالوكولم يسأله من خلال ابتسامته الخبيثة :

— أي نوع من الأعمال الحرة ؟

وقال رفعت وهو يدعي اللامبالاة :

— لم أقرر بعد .. اني مازلت أدرس ما أمانى ..

وقال مالوكولم وهو يربت على كتفه :

— سأراك بعد يومين وأكون قد فكرت لك وقد أستطيع أن

أساعدك ..

وقال رفعت مبتسماً :

— لا أريد أن أتعبك .. هالو يا رفعت .. أنت لا تملك مالوكولم  
وقال مالوكولم :

— إنني أحب أن أتعب لك وإن كنت لن أتعب ..

وقبل أن ينصرف رفعت أمسك مالوكولم به وقال في حماس  
كأنه خطرت له فكرة :

— اسمع .. تعال إلى هنا في البيت يوم السبت .. في الساعة

السابعة مساء .. وتعال برباط عنق أسود .. خطرت على بالي فكرة

ستعرفها يومها ..

وخرج رفعت حائراً .. ماذا أعد له مالوكولم يوم السبت ..

لعله سيجمعه ببعض الشخصيات الانجليزية التي يمكن أن تعرض

عليه عملاً جديداً .. ورباط العنق الأسود الذي طلبه منه يعني أن

يرتدي بدلة سموكن .. لاشك أنه دعاه إلى حفلة عشاء فخمة

رسمية .. ولكنه لا يملك بدلة سموكن .. يجب أن يشتري واحدة ..

هل معه ما يكفي لشراء مثل هذه البدلة .. وقضى أيامه وهو يسعى

لشراء بدلة سموكن ويقارن بين الثمن وما في جيبه .. إلى أن اشترى

بدلة مستعملة « سكند هاند » و .. ولكنه كان حريصاً على أن

تبرزه في صورة لائقه محترمة .. واضطر أن يشتري قميصاً منشي

وأزراراً لامعة .. والكرافت الأسود .. بل اضطر أن يشتري حذاء

أسود لامعاً .. كل ما يتطلبه سموكنج .. أضاع كل ما أدخره ..

لايهم .. إنه لا يسرف ولكنه يجازف .. وقد قرر منذ البداية ألا



يتردد أمام المحازفات التي تخطر بباله .. ولكن من سيقابل في هذا الحفل .. ربما بشخصيات معروفة بعدائها للحركة الوطنية ويفضحه لقاءه بها .. ولكن مالوكولم حدد له موعدا مبكرا قبل الحفل .. في الساعة السابعة وسيعرف منه قائمة المدعوين وإما أن يختار البقاء أو ينصرف ..

وجاء يوم السبت .. وذهب إليه في الموعد وهو يحمل قائمة بالمعلومات الدسمة كأنه يرشوه بها .. وقال له مالوكولم بسرعة :  
- سأصحبك إلى العشاء في بيت منصور باشا فكري .. لقد اتفقت معه على دعوتك ..

واهتز كل كيان رفعت .. إنه لايعرف منصور فكري شخصيا ولكنه معروف بأنه رجل الإنجليز الأول في مصر .. وعن طريق الإنجليز استطاع أن يكون أقوى رجل في مصر .. وأثرى أثرياء مصر .. إنه يملك عشرات الشركات الصناعية والتجارية .. وأصبح عن طريق الإنجليز يتحكم في كل الحكومات المصرية .. وأصبح باشا .. كيف يذهب إلى بيت منصور فكري في حين أنه حريص على أن يعرف بين الناس بشخصية الوطني الثائر ..

ولاحظ مالوكولم اهتزازة وقال ضاحكا :

- لن تلتقي هناك بمن يشي بك إلى أصدقائك .. ثم إنه أفضل من يستطيع أن يجد لك عملا حرا من الأعمال التي تبحث عنها ..

وأفكار لا تزال تعصف بعقله .. لماذا لا يذهب ويتعرف بمنصور باشا فكري .. لماذا لا يجازف .. إنها أمنية لم يكن يحلم بتحقيقها .. ثم إن كل الزعماء ورؤساء الأحزاب يتشرفون بلقاء منصور فكري .. بل إن كلا منهم يتحكم في فترة يجعل فيها من منصور فكري شخصية وطنية يقدمها للشعب كأنها شخصية زاهية نظيفة في وطنيتها .. بل قبل إن منصور فكري بدأ يفكر في إقامة حزب سياسي خاص به .. لاشك أنه سيكون حزب الإنجليز .. المهم أنه يجب ألا يخاف .. ولا يتردد .. يجب أن يجازف إلى أبعد ويتشرف بلقاء منصور فكري ويحاول أن يستغله .. وهو يستطيع دائما أن يجد ما يبرر به هذا اللقاء أمام الجمعيات الثورية الوطنية .. إنه ليس أقل من باقي الزعماء والقادة الذين يذهبون إلى منصور فكري ولكنه يتميز عنهم بأنه لا يريد أن يصل إلى الحكم ولكنه يريد أن يكتشف أسرار الإنجليز حتى يحاربهم بأسرارهم .. هكذا سيقول إذا سأله أحد من هؤلاء الثوار ..

وقال رفعت لمالوكولم وهو يحاول أن يطرد حيرته عن مظهره :  
- يكفي أن أتعرف به .. إنه فعلا شخصيه هامة ..

مذهب مع مالوكولم في سيارته إلى قصر منصور فكري في مصر الجديدة وهو يراعى في جلسته بجانبه ثم في كل خطوة يخطوها أنه مرتد بدلة سمو كن .. كان يحس كأنها كالبذلة العسكرية تفرض على لابسها قيودا مرسومة لكل حركة ..



وذهل عندما دخل القصر .. إنه حفل كبير .. والقاعات كلها مزدحمة بالعشرات رجالا ونساء .. ليس كل الرجال من الإنجليز إن بينهم شخصيات مصرية معروفة .. وهى شخصيات تمثل كل الأحزاب والاتجاهات السياسية .. وليس بينهم من يعرفونه معرفة شخصية .. لم يكن بينهم واحد من هذه الشخصيات التى تتولى قيادة الشباب من داخل الأحزاب .. الحمد لله أن لا أحد يعرفه .. والنساء أيضاً بينهن أيضاً مصريات كثيرات .. وبينهن هذه الشخصيات النسائية المعروفة فى إحياء الحفلات رغم أنهم لسن فنانات .. إنهن زوجات من كبار العائلات .. ولكن يكنى جمالهن ورشاقتهن وخفة دمهن .. إنهن كالأعلام التى ترفرف على المجتمع ..

وقدومه مالو كولم إلى منصور باشا الذى قال له فى تعال :

— سمعت عنك سمعا يسرك وسأراك غدا فى مكتبى ..

و كانت هذه هى الكلمة الوحيدة التى سمعها من منصور فكرى ليلتها وانشغل منصور عنه ببقية المدعوين ، وكان يبدو كأنه يتجاهله كلما سقطت عيناه عليه صدفة .. ووقف رفعت فى جانب ملتصق بمالوكولم وهو يتطلع إلى المدعوين كأنه يجد نفسه فى عالم جديد .. غريب .. إن كل من يراهم سبق أن سمع عنهم أو رأى صورهم فى الصحف .. وهو لا يستطيع أن يجد طريقته بينهم .. لا يعرف كيف يقدم نفسه إليهم أو كيف يبدأ حديثا معهم .. وأشد ما جذب عينيه هو النساء .. لم يكن يحلم بأن يقف معهن على أرض واحدة .. كل

هذا الجمال .. وكل هذه الخبهرات .. إن كلا منهن تحمل من الخبهرات ما يعجز عن شرائه كل بطيخ كفو البطيخ .. هل يأتى اليوم الذى يصبح فيه رجلا كهؤلاء الرجال وله نساء مثل هاتيك النساء ..

وأقبلت شابة صغيرة تصافح مالوكولم .. إنها ليست جميلة .. ولا ترتدى ثوبا من هذه الثياب المذهلة .. وليس عليها أى قطعة من الخبهرات .. ولكنها إنجليزية .. وقدمها إليه مالوكولم قائلا بسرعة : — رفعت .. مجدولين .. إنها جديدة على مصر .. سأتركك لتحدثها عن مصر حديث الشباب ..

وابتعد عنه مالوكولم بسرعة كأنه كان يريد أن يتخلص من عبئه ..

ووقف هو مبتسما أمام مجدولين وقد وجه كل ذكائه إليها .. ماذا يقول لها .. ماذا يفعل بها .. إنه هو شخصيا ليس له أى تجربة مع النساء أو البنات .. لقد عاش متفرغا حتى اليوم لاختيار طريقه وبناء نفسه .. بل إنه يعتبر حتى شابا بكرا رغم أنه تعدى الثالثة والعشرين من عمره .. هل يبدأ حياته بهذه الفتاة .. إنها ليست جميلة .. ولكنه هو نفسه لا يعتبر نفسه وسيما ولم يطرأ فى حياته ما يشد إحدى البنات إلى وسامته .. إن كفو البطيخ كانت بخيلة فى تشكيكه علاوة على قصر قامته .. ولكن مجدولين ليست مجرد فتاة إنجليزية لقد عرف بخديته معها أنها ابنة وكيل بنك باركليز الجديد الذى



عين أخيرا .. بل إنها أخذته وسارت به بين المدعويين وقدمته إلى أبيها .. إنه لاشك سيكون في حاجة إلى معاشرة البنوك إذا أراد أن يحقق أحلامه .. بل ربما كان من مصلحته أن يسعى للزواج بمثل هذه الفتاة .. فتاة إنجليزية .. إن منصور باشا فكرى متزوج من إنجليزية .. لعله لم يكن يستطيع أن يصل إلى كل هذا المجد لو لم يكن متزوجا من إنجليزية .. إن الزوجة الإنجليزية هي الطريق السهل إلى السفارة البريطانية .. خصوصا إذا كانت ابنة رجل يحسب حسابه .. ابنة وكيل بنك باركليز ..

كل ذلك كان يدور في خاطره وهو يستغل كل ذكائه وكل موهبته في إطالة الحديث لاكتساب مشاعرهما واهتمامهما وشغلها بنفسه حتى لا تبعد عنه ، وقال لها عند نهاية السهرة :

— هل سأراك غدا لنذهب إلى سقارة ..

وقالت في مرح :

— لماذا غدا ..

وقال ضاحكا :

— لأن الجو في مصر حار لا يحتمل الانتظار بعكس الجو البارد في لندن ..

وضحكت وافقت على لقائه في الغد، ولكن بعد أن تعمد أن يكون اللقاء في الساعة الرابعة بعد الظهر لأنه في الصباح يضع كل همه في لقاء منصور باشا بمكتبه كما وعده ..

ذهب رفعت البيومي إلى مكتب منصور باشا فكرى وهو يجمع كل أعصابه حتى يثق في نفسه ويقنع نفسه بأنه إنسان شاطر ذكى .. إن منصور باشا لم يكن ليقابله لولا توصية مالمو كولم .. ومعنى هذا أن صداقته لمالمو كولم يستطيع أن يفرض بها إرادته ويصل بها إلى ما يشاء .. إنه قوى بمالمو كولم وليس في حاجة إلى الاعتماد على قوة منصور باشا .. وتعمد وهو في الطريق أن يشتري « باب » ووقف فترة مع البائع حتى يتعلم منه كيف يحشوها بالدخان وكيف يشد أنفاسها منها .. إن كل من عرفهم من الإنجليز يدخنون الباب .. وفي حفل العشاء الفخم كان كثيرون من المدعويين حتى من المصريين يحملون الباب بين أصابعهم .. وهو يريد أن يكون له مظهر الطابع الإنجليزي ومظهر الطبقة الأرستقراطية التي تعيش مع الإنجليز حتى يؤثر على منصور باشا ويقنعه بأنه ليس مبتدئا دخيلا على هذه الطبقة .. وإن كان لم يسترح عند ما شد أول أنفاسه من الباب وانتابته نوبة من الكحة اكتفى بعدها بأن يحمل الباب بين أصابعه دون أن يقربها من فمه ..

ولم يستقبل المستقبل الذي كان ينتظره اعتمادا على نفوذ مالمو كولم .. لقد لطمه منصور باشا في مكتب السكرتارية أكثر من نصف ساعة وهو جالس يتسلى باللعب بالباب بين أصابعه ويحاول أن يبدأ أحاديث مع السكرتير حتى يكسب صداقته .. إن الصداقة الجديدة هي التي تشمل كل الطبقات من السكرتير إلى الرئيس ..



وسمح له أخيراً بالدخول إلى منصور باشا واستقبله جالسا إلى مكتبه وبين شفثيه ابتسامة باردة صغيرة كأنها كلبشيه رسمى لاستقبال الزوار .. وقال له فوراً دون أن يدعوهُ إلى الجلوس :

- مستر مالوكولم يثق فيك جداً وتكلم عنك كأنك أعجوبة ..  
وقال رفعت وهو يتلفت حوله باحثاً عن المقعد الذى يجلس عليه ثم جلس دون دعوة ودون استئذان :

- إنه صديق قديم ..

ونظر إليه منصور باشا وهو يراه يجلس بلا استئذان ولم يعترض ولكن كان فى نظره امتعاض وقال :

- قال لى أنك تريد أن تعمل .. ماذا تعمل ؟

وقال رفعت وهو يتعمد الهدوء ويتعمد الجلوس فى أدب :

- الواقع أنى فى حاجة إلى دراسة كل مجالات العمل قبل أن أحدد ماذا أعمل .. ولاشك أن سعادتك خير من يوفر لى هذه الدراسة ..

وقال منصور باشا بلهجة سريعة كعادته عندما يتكلم :

- سأوصى مدير المكتب بأن يسهل لك مجال جمع المعلومات ..  
اقصد مجال الدراسة .. وسيكون لك مرتب .. مائة جنيه فى الشهر ..

وقال رفعت فى لهجة هادئة وهو يكتم هزة فرحته :

- شكراً ..

- هل تعرف برعى بك ..

وقال رفعت فى حيرة :

- برعى بك من ؟

وقال منصور باشا :

- برعى محمود .. ألا تعرفه .. غريبة ..

وقال رفعت كأنه يتذكر :

- أسمع عنه .. وأقرأ عنه .. ولكنى لا أعرفه شخصياً ..

ولا أعرف عنه إلا أنه من كبار رجال الأعمال ..

ولوى منصور باشا شفثيه امتعاضاً :

- حاول أن تعرف عنه كل شىء حتى لون وسادة الفراش

الذى ينام عليه .. وبلغنى أنا شخصياً بكل المعلومات التى تحصل عليها .. سيكون لك حق لقائى فى أى وقت ..

وقال رفعت فى ضيق :

- سأحاول ..

وأشار منصور باشا إلى الباب بأصبعه كأنه يطرده قائلاً :

- تستطيع الآن أن تذهب للقاء مدير مكتبى .. إن لديه كل

المعلومات التى تخصك ..

وخرج رفعت وهو يحاول أن يفسر كل كلمة سمعها من

منصور باشا .. إنه يريد أن يعمل لحسابه الخاص .. أى أن يسلمه



هو شخصيا كل المعلومات التي يحصل عليها .. ويكون له حق توجيهه إلى نوع المعلومات التي يريد بها .. لا .. لن يتنازل عن اتصالاته وصداقته مالمالكوم .. لن يكون في خدمة منصور باشا بل في خدمة مالمالكوم حتى يحتفظ بقوته .. قوة مباشرة .. ولكنه لا يريد أن يرضى منصور باشا .. إنه هو الآخر قوة لا يستهان بها .. ثم إنه سيدفع له أتعابه .. مائة جنيه في الشهر .. لاشك أنه اتفق مع مالمالكوم على هذه الأتعاب لتكون بديلا عن الخمسين جنيها التي ترسلها له السفارة على يد مستر جولدمان .. إن مالمالكوم يريد أن يبعده عن كل الشبهات .. لم يعد يتقاضى أتعابه من السفارة بل من شركة الإنشاءات التي يملكها منصور باشا كأى موظف عادى ..

ولكن لماذا يهتم منصور باشا كل هذا الاهتمام بأخبار برعى بك محمود كأنه يبحث عن أسرار عدوه ليحاربه بها .. إنه لا يدري بعد ..

ودخل إلى مدير المكتب وقد استقبله بترحاب كبير وأحسن بعد لحظات أنه يعرف عنه كل شيء .. يعرف حقيقة عمله .. ويعرف القوة التي استند عليها ودفعته إلى العمل في هذه الشركة .. وقد كان شخصية سهلة قدر رفعت أنه يستطيع أن يكسبها بسهولة .. وجلس معه جلسة طويلة بذر خلالها بنور صداقته وقام منصور فا بعد أن اتفق معه على وضعه انذى سيكون عليه في الشركة ..

ووجد نفسه بعد أن خرج يتجه إلى حى الدراسة .. بداية طريقه منذ جاء من كفر البطيخ إلى القاهرة .. ومهبط وحيه .. إن كثيرين من أصدقائه الشبان الوطنيين لا يزالون يقيمون في حى الدراسة .. وبحس إحساسا غريبا كأنه يريد أن يعتذر لهم عن علاقته الجديدة بمنصور فكبرى .. يريد أن ينقى تهمة لم توجه إليه بعد .. وجلس في مقهى عزوز الذى تعود أن يجتمع فيه بأصدقائه ويسرق منهم معلوماتهم عن الحركة الوطنية .. وأرسل في طلب رطل كباب من الكبابجي المجاور .. لقد كان الكباب أيامها يقدم في المطاعم بالرطل لا بالكيلو كما يقدم هذه الأيام .. ولم يلبث طويلا حتى بدأ أصدقائه يتجمعون حوله .. وقال دون أن يسأله أحد وكأنه يريد أن يتخلص من عقدة الدفاع عن نفسه .. العقدة التي تهرى أعصابه :

— لقد وجدت أخيرا وظيفة .. في شركة الإنشاءات ..

وقال أحد الأصدقاء فورا :

— إنها شركة يملكها منصور فكبرى .. احترس ..

وقال رفعت ضاحكا :

— لا أدري من يملكها .. كل ما أدريه أنى في حاجة إلى

وظيفة وقد وجدتني في هذه الشركة .. والعمل شئ والسياسة

شئ آخر ..

وقال صديق آخر :

— يقال أنه سيؤسس حزبا سياسيا جديدا وقد يفكر في أن

يضم إليه كل موظفى شركاته ..



وقال رفعت كأنه يهتف :

— مستحيل .. إنهم لم يشترطوا على الانضمام لحزب وإلا لما قبلت الوظيفة .. وأنتم تعرفونني .. إنى أضع حريتي فوق كل الأحزاب .. ولعل هذا كلام .. وقد قرأت في الصحف أن منصور فكرى كان فى زيارة النحاس باشا فهل كان يعرض عليه الانضمام لحزبه الجديد .. كلام ..

وطال النقاش إلى أن قام رفعت منصرفا وهو مطمئن إلى أنه احتفظ بثقة أصدقائه ولن يتعرض لأى اتهام ..

كانت الساعة قد قاربت الرابعة .. موعده مع مجدولين .. وكان الاتفاق أن يمر بها فى بيتها بالزمالك .. بيت وكيل بنك باركليز .. ويأخذها من هناك إلى سقارة .. وقد أخرج من جيبه اليايب الذى كان قد اشتراه فى الصباح وأخذ يحرب وهو فى طريقة إشعاله وشد أنفاسه ثم يعجز فيكتفى باحتضانه بأصابعه متباهيا بالمظهر الإنجليزى .. لقد كان حريصا أن يخفى هذا اليايب عن أصدقائه الذين التقى بهم .. لا يريد أن يتصوروا أنه ارتقى إلى مرتبة الإنجليز .. ولن يروا الباب فى يده .. ولن يروا البدلة الاسمو كنج طبعا ..

وفتحت له مجدولين الباب وبين شفتيها ابتسامة واسعة ووجهها يفيض مرحا .. لقد كانت فعلا فى انتظاره .. ووضعت ذراعها فى ذراعه وشدته خارجة إلى الشارع ..

وقال وهو يحس بلحم ذراعها ملتصقا بذراعه :  
— ليس عندى سيارة ..

وقالت ضاحكة :  
— ولا أنا ..

قال وهو يضغط بذراعه على ذراعها :  
— سنركب سيارة أجره ..

قالت فى مرح :  
— كما تريد ..

قال من خلال ابتسامته تملأ وجهه الفلاحى :  
— المسافة بعيدة والوقت قصير .. مارأيك لو ذهبنا إلى الهرم بدلا من سقارة .. إنى واثق أن هناك الكثير لم تربنه من الأهرام ..

قالت ضاحكة :  
— موافقه ..

وخطا بها خطوات وهو سعيد بذراعها تحت ذراعه .. لم تعطه امرأة من قبل ولا حتى ذراعها .. ثم قال وابتسامته تنضج بدكائه :



— هل تريد أن نحس وتفرجى على مصر كلها .. تعالى  
نذهب في الترام .. إن الترام في مصر يصلح منتدى للأصدقاء ..  
وصاحت فرحه :

— فكرة رائعة .. إني منذ وصلت مصر وأنا أتمنى أن أركب  
الترام .. ليس عندنا في لندن ترام مثله ..  
واستراح لفرحتها .. إنه كان يسعى للتوفير .. إن أجر السيارة  
حتى الهرم لن يقل عن ثلاثين قرشا ولكن الترام لن يكلفه أكثر  
من قرشين وأربعة مليات ..

وركبا الترام .. درجة أولى .. وهى طول الوقت ملتصقة به  
دون أن تحس بعتاب نظرات بقية الركاب ولا بسخطهم .. وهو  
لا يكف عن الكلام .. يحدثها عن تاريخ الفراعنة .. وعن تاريخه  
هو شخصيا .. ويدمج حديثه كلمات الإعجاب بها والاجتذاب  
إليها .. ثم طاف بها الأهرام ودخلها فيها وفي كل مناسبة يزداد  
التصاقا بها وهى مقبلة على مزيد من الالتصاق .. إلى أن ركبا  
جملا .. حمل واحد .. هى فى مقدمة السنام وهو جالس وراءها  
ملتصقا كله بها .. وأحس بالجمال وهو يتحرك بجعله يتحرك فوق  
ظهرها .. إن كل ما فيه يتحرك .. إحساس لم يكن يحس به إلا  
عندما يحتلم فى نومه .. واشتدت به أعصابه الهائجة حتى كفيه واحتضن  
بها صدرها .. وهى مستسلمة .. تتركز بظهرها عليه أكثر حتى  
تمكن منها أكثر .. ولكن هبت عليه زوبعة من الخوف .. أنه

يخاف أن يتهور وتدفعه فحولته رغبا عنه إلى أن يأخذها أمام  
الناس .. فأمر صاحب الجمل بأن يهبط بهما على الأرض .. وقفز  
من فوق الجمل بسرعة كأنه يهرب ويريح نفسه مما هو فيه ..

وعاد بها فى سيارة أجرة .. لم يعد يحتمل حالته ولم تغلبه نزعة  
التوفير .. وقد جلس بجانبها فى السيارة كأنه خجل منها لا يستطيع  
أن يرفع عينيه إليها .. كان يعتقد أنه فقد أعصابه معها فوق الجمل  
مما لا يشرف مصريا أمام فتاة إنجليزية .. قد تقول عنه أنه حيوان  
تتمكن منه مطالب الحيوان .. وهى بالعكس .. تنظر إليه متعجبة  
من ارتباكها ومن اختصاره فى حديثه الطويل الذى عودها عليه ..  
لقد كانت هى التى تتحدث .. وتحدث طويلا وتحتضن يده بيدها  
وتلصق كتفها بكتفه ، لعلها تعيد إليه إحساسه .. إحساسه بها كما  
كانا فوق الجمل .. وكلاهما لم يفصح عما أحس به فوق الجمل ..

وقالت له وهو يودعها أمام البيت :

— تعال .. كوب من الشاي ..

قال وهو يلتهمها بعينه بعد أن هدأت كل أعصابه :

— آسف .. مرتبط بعمل ..

قالت وهى ملتصقة به :

— سأراك غدا ..

قال سعيدا :

— أين ؟



قالت وهي تحتضنه بعينها :

— هنا .. في البيت .. نشرب الشاي معا .. في الساعة الرابعة ..

إني أعرف أنك مشغول دائماً في الصباح ..

وظلت وعيناها معلقتان بعينه كأنها تنتظر منه شيئاً .. وهو مكتف بيدها في يده وابتسامته بين شفتيه .. وكأنها يئست من أن يتحرك فأنحنت فجأة وقبلته قبله سريعه على وجنته ثم اختفت داخل البيت .. انحنت لأنها أطول منه قامه ..

...

وكان رفعت مرتبطاً فعلاً بعمل ..

كان يريد أن يبحث وراء برعى بك محمود كما طلب منه منصور باشا فكرى .. وطاف بالأصدقاء والمعارف الذين يعتقد أنهم يعرفون برعى محمود .. طوال الليل وطوال صباح اليوم التالى وهو يبحث .. ووصل إلى معلومات لم تكن تخطر على باله ولا تثير اهتمامه ..

ان برعى محمود هو رجل أمريكا الأول في مصر ..

ولكن ..

إن منصور فكرى هو رجل بريطانيا الأول في مصر ..

غريبة ..

إن بريطانيا تقيم حلقة واسعة من التجسس على أمريكا في

مصر ..

لم يكن هذا يخطر على باله ..

(٣)

كان رفعت اليومى فد فوجيء بأن لأمريكا رجلاً في مصر تعتمد عليه السفارة الأمريكية ومن خلفها واشنطن .. وهو برعى بك محمود .. وقد لام نفسه لأنه فوجيء .. لم يتسع ذكاؤه ليكتشف أن أمريكا بعد الحرب أصبحت في مصر .. ولم يقدر أنها أصبحت الأقوى بعد أن كان لها الفضل في تحقيق الانتصار على النازى في الحرب العالمية .. وهو فضل مفروض أن يحملها مسئولية العالم كله .. كان ذكاؤه محصوراً في الواقع القديم الذى يفترض أن بريطانيا هي القوة الوحيدة في مصر .. الدولة التى لا تزال تحتل مصر بقواتها ..

وربما كان أحد أسباب المفاجأة أن أمريكا في أيامها كانت تتحرك داخل مصر في هدوء وخفية حتى لا يحس أحد في مصر بها .. كان المصريون لا يحسون بأمريكا إلا من خلال أفلام الحرب



ورعاة البقر التي تعرض عليهم .. وكان أشهر مشروع شعبي أقامته أمريكا في مصر هو بناء سبنا مترو .. في حين أن بريطانيا كانت تعيش بين المصريين بتاريخ الاحتلال المريع .. وكل مصري يفتح عينيه كل صباح مطالباً بالجلد .. وكانت مصر تعيش قضية وطنية مع بريطانيا ، ولذلك لم تحس إلا ببريطانيا .. وبريطانيا لم تكن تنكر وجودها في مصر ، وكانت تجاهر بحق سيطرتها على مصر ، وحتى بحق تدخلها في اختيار الوزارات والوزراء وفي كل كبيرة وصغيرة من شئون مصر ..

ولذلك كان رفعت البيومي معذورا في جهله بالنشاط الأمريكي في مصر .. ثم إن برعي بك محمود نفسه لم يكن يجاهر بأنه رجل أمريكا الأول في مصر ولا حتى كان يجاهر بأصدقائه الأمريكيين .. كان كل ما هو معروف عنه في مصر أنه رجل أعمال شاطر .. في حين أن منصور باشا فكرى كان يجاهر متفاخرا متباهيا بأنه رجل الإنجليز الأول في مصر .. وإن كل بريطانيا وكل السياسة البريطانية الخاصة بمصر بين يديه .. لن يستطيع حزب أن يتولى الحكم إلا بالاتفاق معه ، ولن يستطيع أحد أن يكسب رضا بريطانيا أو يقوم بأى عملية معها إلا عن طريقه .. هذا الفارق جعل من برعي محمود شخصية مجهولة سياسيا ، وجعل من منصور فكرى عدوا من أعداء الحركة الوطنية ومن أعداء الشعب ..

وان كان رفعت قد اكتشف بعد أن بدأ اهتمامه ببرعي محمود أنه أصدر كتابا أو تقريرا عن مجالات التعاون الجديد بين مصر وأمريكا .. كتاب يشيد فيه بنيات أمريكا ويؤكد أنها الدولة التي تقوم على مساعدة الدول الصغيرة في بناء نفسها دون أن يكون لها مطمع في الاستيلاء أو السيطرة عليها ، ثم تضمن الكتاب بحثا علميا عن مجالات التعاون التجارى والاقتصادى مع أمريكا .. وكان هذا الكتاب يكفى لإثارة الشكوك والانتقادات حول برعي محمود . ولكنه تعمد ألا يوزع هذا الكتاب شعبيا إنما أكتفى بأن يصل إلى الشخصيات المصرية التي يعتقد أنها قابلة للتعاون معه ، وذلك حتى لا يعرف شعبيا أنه أمريكى ..

وأيامها عندما اكتشف رفعت بذكائه أن أمريكا في مصر بدأ يسائل نفسه .. لماذا لا ينقل نشاطه من بريطانيا إلى أمريكا .. لماذا لا يسعى إلى السفارة الأمريكية حتى يكسب صداقتها واعتمادها عليه بدلا من السفارة البريطانية .. ربما كان التعامل مع أمريكا أسهل ويدر مكاسب أسخى لأنها لا تزال في مرحلة تكوينها .. مرحلة فرض وجودها في مصر .. ولكنه طرد هذا الخاطر عن ذكائه بسرعة .. ما في اليد خير مما على الشجرة ..

وقد فوجئ بعد أيام من عمله في مكتب منصور باشا فكرى بشركة الإنشاءات ، فوجئ به يستدعيه إلى مكتبه ويأمره قائلا وهو



جالس على مقعده ودون أى كلمة تحية كعادته التى اكتسبها من  
الرؤساء الإنجليز :

— هل جمعت معلومات عن برعى محمود ..

دهش من استدعائه لإلقاء هذا السؤال .. لقد كان المفروض  
أن ينتظر الباشا حتى يجمع هو المعلومات ويتقدم بها إليه دون حاجة  
إلى استدعائه .. هكذا أصول وتقاليد هذا النوع من العمل .. وقد  
دهش رفعت أكثر من لهجة الحقد التى ألقى بها الباشا سؤاله .. إنه  
يكره برعى محمود إلى حد لا يستطيع الانتظار كما تقضى التقاليد ..  
إنه فى حرب معه لا تحتمل الانتظار ..

وقال رفعت وهو واقف فى مكانه دون أن يحاول فرض  
شخصيته بالجلوس على مقعد :

— عرفت عنه أنه أمريكانى .. بل رجل أمريكانى الأول فى مصر  
ولا شك أنك تعرف عنه هذا لذلك لم أجد داعيا لابلاغك عنه ..

وقال الباشا فى لهجة جافة :

— وماذا عرفت أيضا ؟

وقال رفعت بعد أن زفر نفسه الضيق :

— اسمع يا باشا .. ليس من مهمتى أن أنقل إليك معلومات  
عادية عن برعى محمود .. من قابل وأين ذهب وماذا تم .. ليست  
هذه هى مهمتى .. إنها مهمة أى شخص عادى .. ولكنى أنقل  
إليك ما يمكن أن يصل إلى من عمليات هامة كبيرة خطيرة يقوم بها  
برعى .. ولم يصل إلى شىء هام حتى الآن .. وثق أنى مهم ..  
اطمئن .. إنى أعلم أنك تجربنى أو أنك تضعنى فى حالة اختبار  
وستفرح بى .. فقط أرجوك الانتظار على ..

وزم منصور باشا فكرى بشفتيه ثم عاد والتفت بعينه إلى  
الأوراق التى أمامه كأنه يأمر رفعت بالانصراف ..  
وانصرف رفعت فعلا وبين شفتيه ابتسامة ساخرة ..

...

وكان رفعت البيومى قد بدأ فعلا يركز كل اهتمامه بتتبع أخبار  
برعى بك محمود ، واستطاع أن يجمع حوله بعض الشبان الذين  
يستطيعون أن يحدثوه عنه .. وإن كان الحديث دائما فارغا لأن  
برعى يتعمد ألا يكون له شخصية عامة وألا يعيش وسط مجالات  
الحركة الوطنية التى يعيش فيها رفعت .. بل إن رفعت كان بزلاقة  
لسانه يتعمد عندما يقابل الشخصيات الكبيرة أن يثير الحديث عن  
برعى محمود ولكنه أيضا لم يكن يصل إلى شىء سوى المعلومات  
العامة التى يمكن أن يعرفها غيره .. لم يصل إلى سر .. وقد استطاع



أخيرا أن يصل إلى صداقة شاب في الخامسة والعشرين من عمره  
يعمل في مكتب برعى محمود .. اسمه ممدوح طوسون .. وقد اهتم  
كثيرا بتوطيد صداقته بممدوح .. إنه أقرب من يعرفه إلى برعى ..  
وأقربهم إلى أوراق برعى .. وبني على صداقته به أحلاما واسعة ..

وكان رفعت في نفس الوقت يعيش قصته مع الفتاة الإنجليزية  
مجدولين .. ابنة وكيل بنك باركليز والقصة تتسع .. وتتسع .. إلى  
أن وصلت إلى نهايتها ..

وقد دخل بينها لأول مرة عندما دعت إلى تناول الشاي بعد أن  
كان قد دعاها في اليوم السابق إلى نزهة الهرم وقضيا الساعات وهما  
متلامسان إلى أن عاش جسداهما في احتكاك متصل وهما على ظهر  
جمل واحد يطوف بهما .. لقد احتار ساعتها كيف يطفىء النار التي  
اندلعت في كل أعصابه وأثارت كل نقرة من جسده .. كيف  
بأخذها لتكون أول امرأة يأخذها في حياته بعد الحرمان الطويل الذي  
عاشه العمر كله .. لم يكن حرمانا ولكنه كان مشغولا عن نفسه  
وعن إشباع طبيعته حتى أصبحت هذه هي عادته .. حتى أنه خجل  
من نفسه وهو معها على ظهر الجمل وخشى أن تعتبره مجرد رجل  
متوحش ، فهرب من فوق الجمل ..

وقد دهش وهو في بينها بأن وجد أنها وحدها .. لا أبوها  
ولا أمها ولا أحد آخر .. ودخل كبير الخدم « البتلر » وهو في زيه

الرسمي كأنه رئيس الوزراء يتقدم لخدمة صاحب الجلالة .. ووضع  
أمامها معدات الشاي وانصرف وتركها وحدها فوق الأريكة  
العريضة .. وهو يتتبع بعينه البتلر وهو خارج .. إنه من يومها وهو  
يتمنى أن يكون له بتلر خاص بخدمته إلى أن استطاع أن يحقق  
أمنيته ..

وحاول أن يستغل موهبته في إطالة الحديث معها ولكن  
ذكريات أمس .. ذكريات التلامس والاحتكاك لا تريد أن تفارقه ،  
بل إنها بدأت تتفاعل على أعصابه ويحس أنه يريد أن يبدأ في إعادة  
التلامس والاحتكاك .. وكانت هي التي بدأت كأنها ضاقت  
بتردده .. وضعت يدها في يده .. فشدها إليه لتلامس كتفه كتنفها ..  
إنه لم يعد حائرا مترددا كالأمس .. فقد ذراعيه واحتضنها إلى  
صدره .. ولامس خدها بخده .. ثم وصلت شفثاه إلى شفثها .. أول  
قبلة له معها .. والقبلة تشد كأنه بدأ فيها .. يأكل شفثها .. إنها أول  
قبلة في حياته ولا يدري كيف يسيطر عليها وينظمها وفقا لأصول  
القبل .. ولكنه يترك نفسه على طبيعته تملكه وتحكمه .. وهي  
مستسلمة .. وتبادلته .. لا .. هناك حدود .. إنها عذراء وتصر على  
أن تبقى عذراء .. إنه لم يكن يعرف أنه حتى بين الفتيات الإنجليزيات  
عذراوات ..

وقد تباعدا بعد أن نفذا ثورة جسديهما دون أن يأخذ منها أكثر  
مما أرادت أن تعطيه .. إنها لا تزال عذراء وهو الذي كان بكرا



وفض بكارته .. إنها المرة الأولى في حياته التي يجتمع فيها بامرأة وينفث معها ما كانت تلح عليه به أعصابه ..

وكانا جالسين على الأرض ملتصقين بالأريكة عندما دخل والدها وقد عاد من الخارج ونظر إليهما وبين شفثيه ابتسامة واسعة قائلا :

— هاللو ..

وقفز رفعت منظورا واقفا وهو يحاول أن يكتم رعشته .. ماذا يقول الأب وهو يرى ابنته على الأرض وبجانبيها شاب .. الحمد لله أنهما لم يخلعا ثيابهما .. ماذا كان يمكن أن يفعل به الأب وماذا كان يمكن أن يقول .. ومجدولين ظلت جالسة على الأرض تستقبل ابتسامة أبيها بابتسامة أوسع وقالت :

— إنه رفعت البيومي .. هل تعرفه ..

وتقدم الأب ومعه ابتسامته ومد يده يصافح رفعت وهو يقول :

— إنك صديق لملوكولم .. إنه يتحدث عنك بأعجاب شديد .. عن إذنك ..

وخرج الأب وتركها وحدهما كما كانا .. وألتي رفعت بنفسه على الأريكة وهو يلهث .. لعل ما جرى بينه وبين مجدولين

لا يخرج عن التقاليد الإنجليزية ولا يحرمها حتى أن الأب يوافق عليها ..

وقد تركها ليلتها وهما على موعد في اليوم التالي .. إنها تريده .. وقد تركها وهو حائر فيما يجري معها ويسأل نفسه عن مستقبل مايجري .. ولكنه خرج وقد طرأت على باله فكرة جديدة يجب أن يحققها .. يجب أن يكون له بيت في مستوى بيت مجدولين .. بيت يقيم فيه وحده بعيدا عن إخوته وعائلته .. وهو يستطيع الآن أن يكون له بيت في مستوى بيوت الطبقة الراقية الأرستقراطية .. إن دخله وصل إلى مائة جنيه في الشهر .. وهو ما يكفي ليكون له مثل هذا البيت ..

ومن ساعتها بدأ البحث عن شقة في حي من الأحياء الراقية .. ووجدها في جاردن سيتي .. لقد بدأ حياته في كفر البطيخ .. ثم في حي الدراسة .. ثم في حي الظاهر .. والآن وصل إلى جاردن سيتي .. إنها نعمة الذكاء .. وإيجار الشقة اثنا عشر جنيها في الشهر .. كانت هذه أيامها أسعار الإيجارات الغالية .. وهو سيعيش فيها وحده ويبقى عائلته في شقة حي الظاهر .. ولن يبخل عليهم .. سيستمر في إعالتهم .. عشرة جنيهات في الشهر أكثر ما يدفعه أبوه من إيرادات كفر البطيخ .. وسيبقى له ما يكفيه من المائة جنيه ... ما يكفي مظاهره التي يحتاج إليها ..



وقد نعلم قبل أن يوقع عقد الإيجار أن يصحب مجدولين إلى  
الشقة لتبدي رأيا فيها .. إنها ستكون شقتها .. بينها .. هكذا قال  
لها ..

وقد كانت مجدولين قد ملأت حياته كلها .. حياته بعيدا عن  
عمله .. كانا يلتقيان كل يوم تقريبا .. وكانت تدعوه إلى البيت في  
كل مناسبة حتى أحس كأنه صديق لأبيها ولأمها ولو أن صداقتها  
صداقة إنجليزية باردة .. وكان يدعى في جميع الحفلات والسهرات  
التي يقيمونها، وكان حريصا على أن يسأل عن أسماء باقي المدعوين  
حتى يضع حدودا لإشاعة صداقته بالإنجليز .. وما بينه وبين مجدولين  
مستمر كلما وجدا نفسيهما وحدهما في بيتها حتى أصبح يتم دون  
افتعال كأنه شيء طبيعي .. كأنه يحدث بين زوج وزوجته وإن  
كانت لا تزال مصرة على أن تبقى عذراء .. وكانا في انطلاقه  
معهما كأنه في حاجة إلى تعويض السنوات الطويلة التي قضاهما في  
جوع .. أو بعيدا عن طبيعة رجولته ..

ولكن ..

هل يتزوجها ؟

إن مجدولين لا تثير موضوع الزواج ولا تعبر أبدا عن رغبتها  
في أن تتزوجه .. ولكنها قطعاً لن ترفض الزواج إذا عرضه عليها ..  
وهو لن يتزوجها لأنها جميلة .. إنه يعرف أنها ليست جميلة .. ولن

يتزوجها لأنه يحبها إنه لا يعرف الحب .. لا يعرف إلا ما يحقق به  
أهدافه وأحلامه .. ولكنه يفكر في أن يتزوجها لأنها إنجليزية ..  
إن معظم الذين وصلوا إلى التعم في مصر كانوا متزوجين من  
إنجليزيات .. منصور باشا فكري متزوج من إنجليزية .. إن الزواج  
من الإنجليزية يعتبر كأنه زواج من بريطانيا كلها فتفتح له كل أبواب  
بريطانيا .. ومجدولين رغم كل شيء قريبة مما يرضى التقاليد التي  
تعيه على اختيار زوجته .. إنها على الأقل لا تزال عذراء .. ثم إنها  
خلال كل تلك الأيام أصبحت معه في كل شيء .. في كل فكره  
وعاداته ومزاجه .. كأنها فعلاً أصبحت نصفه الآخر .. ولكن ..  
لا .. إن زواجه من إنجليزية يؤكد انتهاءه إلى بريطانيا .. يجعله يبدو  
أمام الناس، وخصوصاً أفراد الحركات الوطنية كأنه أصبح إنجليزيا ..  
لا .. يجب أن يبدو كأنه وطني متحفظ متزمت لا يمكن أن يرضى  
لنفسه أن يتزوج إنجليزية ولو كانت ملكة بريطانيا نفسها .. يجب  
أن يبدو كأن مصريته مصرية طاغية عليه متمكنة منه بحيث لا يمكن  
أن يتزوج إلا مصرية ..

ورغم ذلك فهو لا يزال يفكر في الزواج من مجدولين ..

وهو يتذكر يوم أخذها معه لتبدي رأيا في الشقة الجديدة بحي  
جاردن سيتي .. لقد فرحت بها .. ثم بدأت تشاركه في تأنيثها ..  
بل ربما كانت هي التي أثبتت .. كانت تحمل له قطع الأثاث  
واللوحات التي تعلقها على الحائط والتحف التي تنثرها هنا وهناك ..



ولم تكن تطالبه بثمن ما تأتى به .. وحتى لم تكن تعتبر ما تأتى به  
كأنه هدايا .. إنها تحس وتعلن أحاسيسها بأنها فى بيتها .. بيتها معا ..  
البيت الذى تفيض فرحتها به على كل تصرفاتها .. حتى أنها أصبحت  
تحمل مفتاحا للشقة خاصة بها .. مادام البيت بيتها ..

وهو بذكر والشقة لم يكتمل تأنيثها وليس فيها إلا مقعد أو  
مقعدان أن كانا هناك عندما ثارت بينهما رغبة التلامس فاحتضنها  
وترك نفسه لمنتهى عنفه كما عودها إلى أن يصل إلى ما يدفعها إلى  
مقاومة هذا العنف .. ولكن من يومها وهما راقدان على أرض  
الحجرة .. أرض خشبية بلا سجاد .. يومها لم تقاومه أبدا .. بل  
عاشت كل عنفه حتى وصلت بنفسها إلى المنتهى .. منتهى العنف ..

ولم تعد عذراء ..

ولم يبد عليها شيء من الحسرة أو الندم .. لم تبد كأنما ضاع  
منها شيء أو كأنها ضحت بشيء .. أن هذا كان ما تريده وما  
قررتة هى .. لم يغتصبها .. إنها أقوى من أن تستسلم لاغتصاب ..  
وقد بدأ يفكر فى الزواج بها أكثر ..

إنه هو المسئول ..

هو الذى جعل منها امرأة ليست عذراء ..

ثم إنه يستطيع أن يجد ما يبرر به زواجه محتفظا بصورة الشخصية  
المصرية متكاملة ..

وقد بدءا يتحادثان فعلا عن الزواج .. ولكنها لا يتحادثان  
جادين إنما يتعمدان أن يكون حديثهما كأنهما يتصاحكان ..

...

وعثر رفعت على سر من أسرار برعى بك محمود .. وقد كشف  
له عن السر صديقه الجديد ممدوح طوسون الذى يعمل فى مكتب  
برعى .. ولكن ممدوح لم يكن يتصور أنه يكشف عن سر .. كان  
يتصور أنها مجرد عملية عادية .. عملية بيع وشراء .. ولكنها سر  
سر هائل ..

كان برعى محمود قد بدأ يعد لعقد صفقة توريد أسلحة إلى  
مصر .. أسلحة أمريكية .. وقد استطاع أن يقيم علاقات قوية مع  
كثير من ضباط الجيش الذين يتولون مراكز إدارية .. بل إنه وطد  
علاقته مع وزير الحربية .. وصفقات الأسلحة لا تتم إلا بعد توزيع  
إغراءات سخية على المسؤولين .. لاشك أن برعى قد وعدهم  
بعمولات هائلة .. رشاوى .. ومعروف أن أمريكا سخية فى تعاملها  
مع الوسطاء والمسؤولين ..

وهى أول مرة فى التاريخ يمكن أن تصل فيها أسلحة أمريكية  
إلى مصر .. إن بريطانيا وحدها هى المسئولة عن تسليح الجيش  
المصرى .. إنها تحتكر تسليح الجيش .. بل إن تسليح الجيش يدخل  
ضمن مخطط الأمن لحماية الاحتلال .. لاتسمح بريطانيا أبدا بأن



يكون الجيش المصرى أقوى من الاحتلال أو أن يصبح فى حالة  
يستطيع بها أن يعكس أمن الاحتلال .. وكانت بريطانيا تتساهل  
أحيانا فى أن تترك لمصر الحرية فى استيراد السلاح من أسبانيا أو من  
إيطاليا .. بل ربما كانت تشترك فى هذه العمليات حتى تتأكد من  
أن الأسلحة التى تصل مصر لاتساوى شيئا إلا مجرد المظهر .. مظهر  
التسليح .. وكلها أسلحة خفيفة وقديمة وفاسدة .. بل إنها تركت  
المقاتلين المصريين أيام حرب ١٩٤٨ مع إسرائيل يسرقون الأسلحة  
من ثكنات الجيش البريطانى .. وكانت تعلم مقدما قيمة هذه الأسلحة  
بالنسبة للمعركة وبالنسبة لتحقيق سياستها التى تفرض إقامة دولة  
إسرائيل ..

ولكن هذه هى أول مرة تحاول فيها مصر استيراد الأسلحة من  
أمريكا .. وكان أمريكا ستحل محل بريطانيا فى تسليح الجيش  
المصرى وهو ما يمهّد لتحل محلها فى السيطرة على مصر .. هل توافق  
بريطانيا على مثل هذه الصفقة .. لم لا .. إن بريطانيا فى تحالف مع  
أمريكا ولعلها اتفقت معها على أن تورد إلى مصر نفس الأسلحة  
الخفيفة الفاسدة ومتفقة معها على حماية أمن الاحتلال .. ولكن ..  
هل اتصل برعى محمود بالسفارة البريطانية بخصوص هذه الصفقة  
كما يتصل قطعاً بالسفارة الأمريكية .. هل تعلم بريطانيا بهذا السر  
الهائل .. إنه لا يدري ..

المهم أن يبلغ الخبر حالا إلى منصور باشا فكرى .. قد يذهل  
للخبر ويخرج رفعت من هذا الدهول باعتراف منصور باشا به  
وتقديره له .. ولكن قبل أن يبلغ منصور باشا بالخبر يجب أن يبلغه  
أولا للسفارة البريطانية .. إنه لا يقبل أن تصل معلوماته إلى السفارة  
عن طريق منصور فكرى .. يجب أن يحتفظ بعلاقته المباشرة بها ..  
وإلا فقد السفارة واستغنت عنه وأصبح كأنه خادم من خدم منصور  
فكرى ..

وذهب إلى شقته فى جاردن سیتی .. ورغم أن الساعة كانت  
قد تجاوزت العاشرة فقد كان مصمما على أن يضى على الخبر أهمية  
خاصة ، فرفع سماعة التليفون وطلب صديقه مستر مالوكولم ،  
وقال وهو يتعمد أن يضمن لهجته رنة الخطورة :

— آسف لإزعاجك .. ولكنى أعتقد أنه خبر هام ..  
وروى الخبر لمالوكولم .. واطمأن سعيدا عندما فهم أن  
مالوكولم فوجئ به .. لم تكن السفارة البريطانية تعلم شيئا عن هذه  
الصفقة .. وقال له مالوكولم فى صوت تهزه المفاجأة :

— هل أنت متأكد مما تقول ..  
وقال رفعت بلهجة يستر من خلالها فرحته :

— متأكد من كل كلمة ..  
وقال مالوكولم فى حدة كأنه خرج عن هدوئه الذى عرف به :



وترك الخادم سماعة التليفون وظل رفعت منتظرا فترة إلى أن  
سمع صوت منصور فكرى فقال له فورا دون أن يمهد بتحية المساء  
أو الاعتذار على إيقاظه :

— أريد أن أراك حالا .. الآن ..

وقال منصور باشا وهو يتشاءب :

— إلا تستطيع أن تنتظر حتى الصباح ..

وقال رفعت بسرعة :

— لولا أهمية الخبر لما تجرأت على إزعاجك في مثل هذه  
الساعة ..

وقال منصور باشا في ضيق :

— أى خبر .. لتتكلم في التليفون ..

وقال رفعت كأنه يلومه :

— لا .. لا أستطيع أن أتكلم في التليفون .. وأنت تعرف حال  
التليفونات ..

وقال منصور باشا كأنه استسلم رغم أنفه :

— تعال .. سأنتظرك ..

وكان رفعت يعتمد أن يزعم منصور باشا وأن يفرض على  
منصور باشا استقباله في هذه الساعة حتى يضني على الخبر أهميته

— من أين جئت بهذه المعلومات ؟

وقال رفعت وهو ينبه بثقته في نفسه وفي ذكائه :

— من نفس مكتب برعى محمود ..

وقال مالو كولم وكأنه ساهم :

— سئرى ما يمكن عمله .. شكرا ..

ولاحقه رفعت قائلا قبل أن ينهى المكالمه :

— هل أبلغ الخبر لمنصور باشا .. إنه بهم دائما بكل ما يخص  
برعى ..

قالها رفعت كأنه يستأذن بوصفه رجل السفارة لارجل منصور  
فكرى .. وقال مالو كولم في هدوء :

— أبلغه .. لاشك أنه سيكون له دور كبير في هذه العملية ..  
أكرر شكرى .. وإلى اللقاء ..

ووضع رفعت سماعة التليفون ثم عاد بعد أن التقط أنفاسه  
ورفعها وأدار رقم منصور باشا فكرى ، رد عليه الخادم قائلا :

— إنه نائم ..

وقال رفعت في حدة :

— أيقظه .. إنه موضوع هام .. قلت لك أيقظه ..



الخاصة .. إن تبادل الأسرار الخطيرة لا يتم إلا في الليل وفي الخفاء ..  
وهو ذكي لا يتهاون في أسرارده ويفقد لها قيمتها ..  
واستقبله منصور باشا وهو مترآخ يتعجل النوم ولكنه ما كاد  
يسمع الخبر حتى انتفض من المفاجأة فاستيقظ كله وانطلق بريق  
عينيه وهو يقول :

— لا يمكن .. إن تسليح الجيش هي مهمة قاصرة علينا  
وحدنا ..

ويقصد أنها مهمة بريطانيا وحدها .. وأخذ يستزيد رفعت من  
معلوماته إلى أن قال في حدة :

— هذه الصفقة لن تتم .. على جثتي .. وسأعلم برعى محمود  
كيف يلتزم حدوده .. إنه يحلم بعالم جديد وسأفيقه من أحلامه ..

وخرج رفعت من لديه وهو مستغرق في التفكير حول العلاقات  
بين بريطانيا وأمريكا .. إنها حليفتان ولم يكن يتصور أن العلاقة بين  
الحلفاء يمكن أن تصل إلى حد المعارك حتى لو كانت معارك  
تحتية .. على كل حال فإن ما اكتشفه بين بريطانيا وأمريكا يفتح له  
مجالات جديدة واسعة للعمل .. وإن كان لا يدري بعد كيف يمكن  
أن يستفيد من هذه المجالات ..

وانتظر في صمت وتباعد ما يمكن أن يحدث .. ومرت يوم وفي  
اليوم التالي بدأت الإشاعات عن أزمة وزارية تهدد باستقالة الوزارة

دون أن تصل الإشاعات إلى أسباب هذه الأزمة .. ومع الأيام م  
تستقل الوزارة ولكن استقال وزير الحربية وحده .. أو عزل ..  
طرد .. وقامت حركة تغيير واسعة بين المسؤولين داخل وخارج  
الوزارة ..

وعرف رفعت أن صفقة استيراد السلاح من أمريكا قد  
فشلت .. أغلقت في وجهها كل الأبواب .. ولعل الأزمة وصلت  
إلى لندن وإلى واشنطن قبل أن تنتهي بالفشل .. وهو .. رفعت ..  
إنه صاحب الفضل في القضاء على هذه الصفقة .. ولم ينتبه أى  
إحساس بلوم نفسه لأنه تسبب في حرمان الجيش المصرى من  
أمداده بالأسلحة الأمريكية .. إنها أسلحة سواء كانت أمريكية أو  
بريطانية لا يمكن أن تصل بالجيش المصرى إلى أكثر مما يريد له  
الحليفان .. وهما يريدان دائماً أن يكون الجيش المصرى جيشاً تابعاً  
لها أو لأحدهما .. وما جرى بينهما ليس أكثر من المعارك الطبيعية  
التي تجري في الأسواق .. الأسواق السياسية .. حتى في أسواق  
الحلفاء ..

المهم ماذا سيخرج رفعت من هذه العملية ..

إنه يستحق مكافأة هائلة من بريطانيا .. إنه أنقذها سياسياً  
بالاحتفاظ بسيطرتها على مصر وأنقذها اقتصادياً بالاحتفاظ لها  
باحتكار توريد السلاح .. ولكنه كان من الذكاء بحيث لم يتقدم



بطلب مكافأة .. إنه يحتفظ بمظهر شخصيته حتى لا يبدو كأنه شحاذ يشحذ ..

وذهب إلى لقاء مستر مالو كولم يحمل إليه أوراقا تحمل معلومات هامة سجلها على الآلة الكاتبة الانجليزية .. إنه يعتمد دائما أن يحمل إليه أخبارا هامة كلما كان يريد منه شيئا .. وبعد أن انتهى معه من تفاصيل المعلومات بذلاقة لسانه يتحدث عن حياة العمل في شركات منصور باشا فكرى .. وقاطعه مالو كولم في بساطة وبراعة كأنه يتحدث كصديق لا كمستول عن رشوته :

— هل وجدت العمل الذى تستطيع أن تنفرغ له ..

وقال رفعت في بساطة أيضاً :

— الواقع أنى استفدت كثيرا من دراسة نواحي العمل في شركات منصور باشا .. وقد بدأت أفكر فى الحصول على توكيل لإحدى الشركات الأجنبية .. وقد قدرت أن أختار أن أكون وكيلا فى مصر لسيارات موريس ..

وضحك مالو كولم قائلا :

— لماذا سيارات موريس .. إنها سيارات صغيرة وضعيفة ..

وقال رفعت باسم :

— ربما لهذا اخترتها .. فهى تدخل ضمن توكيلات شركات منصور باشا .. ولكن الدخل الذى تحققه للشركة تافه لا يمكن أن

يؤثر فى ميزانية منصور باشا، ولذلك فكرت أن أستاذته فى أن يكون التوكيل لى حتى أبدأ التجربة .. ولو أنى لم أبدأ المحاولة بعد فى انتظار أن أنتهى من تقدير مدى اهتمام منصور باشا بى وصداقته لى .. لم أحادثه فى الموضوع بعد ..

وقال مالو كولم وهو يربت على كتف رفعت كأنه يشفق عليه :

— حادثه .. وسأتصل به ..

وقد انتظر بعدها يومين لعل منصور باشا فكرى يستدعيه إلى مكتبه بعد أن يكون مالو كولم قد اتصل به .. ولكنه لم يستدعه حتى يسأله عن أخبار غريمه برعى بك محمود .. وقرر رفعت أن يطلب هو مقابلته ودخل إليه حاملا معلومات جديدة عن أخبار فشل صفقة توريد الأسلحة الأمريكية على برعى بك .. ليست معلومات هامة ولكنها بلا شك تفرح منصور باشا ..

وفرض رفعت حق دعوته إلى الجلوس على مقعد .. ومنصور باشا يستمع إليه وقد علق على شفثيه ابتسامه باردة هى كل ما يستطيع إعطاءه لرفعت اعترافا بفضلها .. ثم قال له مقاطعا كأن المعلومات التى يسمعها منه لا تهمه :

— سمعت أنك تريد أن تحصل لنفسك على توكيل سيارات موريس ..



وقال رفعت وكأنه لا يبالي :

— إنها مجرد فكرة خطرت لي ..

وقال منصور باشا كأنه ينهى الموضوع :

— انى موافق .. وسنرسل إلى الشركة بتركيته وكيلا ..  
ولكنك فى حاجة إلى ضمان من البنك .. وأنا أعرف أنك لا تملك  
أى قوة فى أى بنك .. وأنا لن أضمنك ولن أكفلك .. ليست  
هذه من عادتي ولا من نظم شركاتي .. وسأتركك تعتمد على  
نفسك مادمت تريد أن تدخل تجربة جديدة ..

وخرج رفعت وهو حائر :

لقد كان يعتمد على أن يحصل على توكيل شركة السيارات من  
خلال شركة منصور باشا .. ولكن منصور باشا تركه وحده ..  
كأنه يطرده .. فن أين يأتى بالرصيد الذى يضمن له هذا التوكيل ..  
هل يؤلف شركة يضم إليها بعض الممولين ممن يعرفهم .. ولكن  
الممولون قد يستهفون به ويعاملونه كشحاذ .. إنهم لا يعلمون حقيقة  
قوته التى يعتمد عليها .. لا يعلمون أنه من أقرب أصدقاء السفارة  
البريطانية .. ولن يصارحهم بحقيقته طبعاً ..

وفى نفس المساء اتصل به مالو كولم فى التليفون وقال له  
بصوت مرح :

— لماذا لم تتصل بي .. إني عرفت بشروط منصور باشا حتى  
يساعدك فى مشروعك .. اتصل بصديقنا مستر مايكل وكييل بنك  
باركليز وسيعد لك كل شيء ..

وارفعت ضحكة مالو كولم وهو يستطرد قائلاً :

— إني أعرف أنك صديق لمايكل أو على الأصح صديق ابنته  
مجدولين وهى كل شيء بالنسبة لمايكل ..

وفرح رفعت بما سمعه واسترد معه آماله .. واتصل ساعتها  
بمجدولين .. أو ماجى كما أصبح يدللها .. ودهش عندما وجدها  
تعرف كل شيء وهى تؤكد له أن البنك سيضمن له توكيل  
سيارات موريس .. إن والدها أكد لها أن البنك موافق .. وقد قابل  
والدها فى اليوم التالى الذى استقبله بترحاب وقال له أن البنك سيكلفه  
بضمان البضائع التى يستوردها .. أى بضمان ما يستلمه من سيارات  
موريس .. وتولت ماجى بنفسها بعد ذلك تحريك كل الأوراق  
حتى أصبحت العملية كلها فى يده ..

أصبح لأول مرة رجلاً من رجال الأعمال ..

وقد كانت العملية صغيرة لم تحقق له إلا أرباحاً بسيطة .. إن  
أفخم سيارة موريس لم تكن تباع فى مصر بأكثر من خمسمائة جنيه ..  
هكذا كانت أسعار السيارات أيامها .. ولم يكن يحقق فى كل  
سيارة ربحاً أكثر من خمسين جنيهاً .. ورغم ذلك فقد كانت فرحته



بهذه الأرباح أضعاف فرحته بما حققه بعد ذلك من أرباح  
الملايين ..

وكان الفضل كله لماجى ..

لماذا لا يتزوجها ..

إنه لو تزوجها فسيصبح بنك بار كلير كله فى يده وهو فى حاجة  
الآن إلى بنك، بل إلى كل البنوك ماذا قد أصبح من رجال الأعمال ..

إلى أن فوجىء بالصدمة الكبرى ..

لقد قتلوا منصور باشا فكرى ..

اغتالوه فى وضوح النهار ..

وكان رفعت البيومى قد انتهى من تناول طعام العشاء وانتقل  
وجلس غاطسا فوق الأريكة فى البهو .. وقدم له البتلر كأس  
البيرمنت .. كأس كحول النعناع الذى تعود أن يشربه بعد العشاء ..  
ورفع الكأس فى يده وشفته مزموثمان وهو يعيش ذكرى  
صدمته .. ذكرى اغتيال منصور باشا فكرى ..

( ٤ )

كان أشد ما صدم رفعت البيومى عندما سمع باغتيال منصور  
باشا فكرى هو وقع المفاجأة .. إنه يعلم أن منصور باشا يعتبر عدو  
الشعب رقم واحد منذ أن بدأ يعرف ويجاهر بأنه رجل الإنجليز رقم  
واحد .. ورغم ذلك فلم يكن ينتظر اغتياله، وكان يعتقد أنه فى  
تقدير الحركة الوطنية يعتبر رجلا مفضوحا تافها لاشخصية له  
ولا يستطيع أن يؤثر تأثيرا فعليا على الحركة الوطنية .. والأهم أنه  
لا يستطيع أن يكون زعيما أو رئيس حزب يمكنه أن يتولى قيادة  
الجهابذة والاتجاه بهم فى طريق الخيانة الوطنية .. حتى بعد أن بدأ  
فى تكوين حزب سيمسى لم يقترب منه إلا أفراد معروفون من  
أصحاب المصالح مع الإنجليز وليس لواحد منهم أى قيمة شعبية ..  
ولا حتى يستطيع واحد منهم أن يلتقى خطابا فى تجمع جماهيرى مفتوح  
إنما إذا تكلم أحدهم فلا يتكلم إلا فى حفل رسمى حكومى تحت حماية



البوليس .. ورغم ذلك اغتيل منصور باشا فكرى .. والذي يحز في نفسه أنه لم يحذر الإنجليز أو منصور باشا نفسه من هذا الاغتيال كما سبق أن حذرهم قبل وقوع كثير من الأحداث الهامة .. واغتيال منصور فكرى حدث هام ولاشك .. ومفاجأته بهذا الاغتيال لاشك تفقده قيمته عند أصدقائه الإنجليز وتهز ثقتهم به .. لم يعد الصديق الذي يمدحهم بأهم وأصدق المعلومات .. وقال لنفسه في غضب على نفسه أنه ربما بعد أن أصبح رجل أعمال ووكيلا لشركة أرستن في مصر أهمل في التفرغ لعمله الأساسي .. الرجل الذي يجمع المعلومات .. وقد أهمل فعلا .. إن اتصالاته بمصادر أخباره قد خفت واندماجه في التحركات الوطنية على اختلاف اتجاهاتها قد فتر ..

ولكن ..

إذا كان قد عجز عن اكتشاف نية اغتيال منصور باشا فكرى فيجب أن يثبت ذكاه وموهبته باكتشاف أسرار عملية الاغتيال .. وكان البوليس قد قبض على كل الأفراد الذين قاموا بالعملية .. إنهم كلهم من الشبان ولم يسبق له أن عرف أو التقى بواحد منهم رغم العشرات الذين يعرفهم من الشبان الوطنيين الفدائيين الذين يمكن أن يقدموا على قتل أعداء الوطن أو أعداء الحزب .. وقد قال هؤلاء الشبان في التحقيق أنهم لا ينتمون إلى أي حزب من الأحزاب ولا إلى أي تنظيم .. إنهم من الوطنيين المستقلين الأحرار .. لاشك أنهم

يكذبون .. وحتى لو كانوا فعلا من المستقلين الأحرار فإن أي عملية تتم مفروض أن يكون وراءها محرض ومخطط ومنظم .. فمن هو أو من هي الجهة التي حرضت وخططت ونظمت هؤلاء الشبان حتى قاموا باغتيال منصور باشا ..

وكان من أول ما أثار فكره أن كل هؤلاء الشبان ينتمون إلى الطبقة الراقية أو إلى مستوى قبة الطبقة المتوسطة .. إنهم من أولاد الذوات .. ليسوا من الطبقة الشعبية التي تتحمل مسئولية تنفيذ العمليات الوطنية أو الحزبية .. وربما لهذا لم يلتق بهم من قبل فقد كان يحصر تحركاته داخل الطبقة الشعبية .. وطبقة أولاد الذوات حتى لو كانوا من أعضاء الأحزاب يرفعون عن القيام بالعمليات الحزبية الشعبية .. إنهم يضعون أنفسهم داخل الأحزاب في مستوى القيادات .. يكفي مجرد وجودهم في انتظار أن يصل الحزب إلى الحكم فيصبح كل منهم وزيرا .. إن غرائزهم الأرستقراطية الرأسمالية المتعالية تتحكم فيهم بالنسبة لأي قضية وطنية .. بل إن له صديقا شابا من أولاد الذوات انضم إلى تنظيم شيوعي .. ربما لأن أفراد التنظيم أشبعوا فيه غريزة التعاطف والإحساس بأهمية نفسه ووجوده .. وكان هذا الشاب يملك إرثا عن أبيه أكثر من ألف فدان من الأراضي الزراعية الحصبة السخية .. وقد سأله مرة مدعيا البراءة .. هل توزع الأرض على الفلاحين أو على الأصح توزع عليهم دخل الأرض كما تفرض المبادئ الماركسية .. وثار ابن



الذوات الماركسي رافضا مجرد الفكرة، وبرر ثورته بأن توزيع توزع أرضه ليس من الأهداف الماركسية ويجب أن تبقى الأرض في يده إلى أن يقتنع الشعب بأن الأرض لا توزع عن طريق الإحسان أو البقشيش، أو لأن هناك صاحب أرض يريد توزيعها بل الأرض لا توزع إلا بقيام ثورة ماركسية تستولى على كل أرض مصر .. وفي نفس الوقت كان معروفا عن هذا الماركسي ابن الذوات أنه من أنخل البخلاء ومن أعنف أصحاب الأرض في محاسبة الفلاحين .. المبادئ مظاهر والانتفاء الطبقي غريزة ..

فمن الذي حرض هؤلاء الشبان أولاد الذوات ونظم لهم وخطط عملية اغتيال منصور باشا ؟

واعتمادا على عبقرية ذكائه استطاع بسرعة أن يكتشف بذور الحقيقة .. ولكنه يجب أن يتأكد .. وتفرغ للوصول إلى أوسع المجالات التي يمكن أن يستقى منها المعلومات .. إلى أن تأكد ..

إن الذي حرض ونظم وخطط عملية اغتيال منصور باشا هو القصر الملكي .. وبعلم الملك فاروق نفسه .. وكان يعرف أن القصر قد أقام منذ سنوات تنظيما سريا أصبح يعرف بين التنظيمات باسم «الحرس الحديدي» .. وكان تنظيما يدعى التطرف الوطني حتى يبرر تهديد كل الشخصيات الوطنية ، بل إن هذا التنظيم كان يعارض أحيانا تصرفات القصر الملكي حتى ينشئ عن نفسه شبهة الانتماء إليه .. وكانت أغلبية أفراد هذا التنظيم - كما اكتشف

رفعت فيما بعد - ينتمون أيضاً إلى الطبقة الراقية أو المستوى الأعلى من الطبقة المتوسطة .. نفس الطبقة التي ينتمي إليها قتلة منصور باشا .. ولكن الواقع - كما اكتشفه رفعت - هو أن القتلة لم يكونوا من أفراد الحرس الحديدي .. ولكن قيادة الحرس عرفهم بنهورهم واندفاعهم وهوايتهم لإطلاق النار تأثرا بأفلام السينما الأمريكية فسلط عليهم أحد أفراد الذي استطاع أن يدفعهم لقتل منصور فكري .. وهم لم يقتلوه لأن الملك يريد قتله بل لجرد أنه عميل إنجليزي خائن ومن أعداء الشعب .. إلى هذا الحد كانوا ساذجا .. وطنيين لاسياسيين ..

ولكن .. لماذا كان فاروق يريد قتل منصور فكري .. ربما لجرد أنه يستغل علاقته بالإنجليز في خدمة حزب الوفد متجاهلا القصر حتى يكاد يقضي على كل ما للقصر من قوة ..

وجمع رفعت البيومي كل هذه المعلومات وزودها بأدق التفاصيل وسجلها في صفحات متعددة كتبها بالآلة الكاتبة الانجليزية وقدمها إلى صديقه مالوكولم ممثل السفارة البريطانية ..

وربما كانت السفارة البريطانية تتجه إلى نفس الاتجاه الذي يرمى إلى اتهام القصر بقتل منصور باشا .. ولكن هذا الاتجاه تأكد بالمعلومات التي قدمها رفعت .. ثم تأكد أكثر بسير محاكمة المتهمين فقد استطاعوا بنفوذ القصر أن يهربوا كلهم دون أن ينال أي منهم



أى حكم .. حتى رجال القصر أنفسهم كانوا يدافعون عنهم فى أحاديثهم وإجراءاتهم .. ولم تبد أى محاولة للتأثر لمقتل منصور باشا بتتبع قاتليه .. إن منصور باشا لم يكن له حزب .. ولا صديق .. كل من عرفوه كانوا يعرفون الإنجليز .. لا بهم منصور إنما بهمهم الإنجليز ..

ولكن بريطانيا هى التى قررت التأثر لاغتتيال منصور فكرى .. من يومها لم يستطع الملك فاروق أن يحكم .. وكان لا يستطيع أن يقيم وزارة تحكم .. كل شهر أو شهرين يبحث عن وزارة جديدة .. وربما كان السبب هو جهل فاروق نفسه وتفاهة وانحطاط شخصيته ولكن السبب الأول والأهم هو الإنجليز كانوا قد قرروا الاستغناء عنه ..

ويضحك رفعت البيومى سعيدا متباهيا بنفسه .. لقد كان السبب فى القضاء على فاروق .. ولو أنه لم يكن يعرف شيئا عن الثورة ... ولا الإنجليز أيضا كانوا يعرفون ..

وقد كان مقتل منصور باشا هو نقطة التحول الكبيرة فى مستقبل وشخصية رفعت البيومى .. لقد ارتفع مدى اعتماد الإنجليز عليه .. بل إنه فى الواقع حل محل منصور فكرى فى الاعتماد عليه .. أصبح واقعا رجلا الإنجليز الأول .. ولكن ذكائه كان قد تزود من تفاصيل حياة منصور فكرى .. إنه لن يكون أبدا مثله حتى لو تحمل كل مسؤولياته ..

وكان الدرس الأول الذى تعلمه هو ألا يعرف عنه أبدا أنه رجل الإنجليز رقم واحد وإلا أصبح عدو الشعب رقم واحد وقتلوه كما قتلوا منصور فكرى .. وهو منذ البداية وهو يراعى إخفاء كل علاقاته بالإنجليز حرصا على علاقاته بالوطنيين .. وهو الآن بعد أن أصبح من رجال الأعمال فى حاجة أن يبدل مجهودا أكبر فى إخفاء نفسه ، فقد أصبح فى حاجة إلى شخصيته الإنجليز به ليتعامل فى مجال الأعمال ولكنه أيضا فى حاجة إلى إخفاء هذه الشخصية حرصا على مكانته السياسية الوطنية وحماية نفسه .. والإنجليز أنفسهم يجب أن يعدلوا من معرفتهم منه وتقديرهم لشخصيته .. يجب أن يفهموا أنه ليس عميلا ولا جاسوسا ولكن يعاملونه على أنه صديق لهم .. وفرق كبير فى المعاملات الدبلوماسية بين العميل والصديق .. إن العميل أو الجاسوس موظف عندهم يتقاضى راتبا محددًا عن خدماته .. أما الصديق فليس موظفا لديهم .. إنه مجرد صديق حر يسعون وراءه أكثر من أن يسعى وراءهم .. ثم إنه لا يتقاضى منهم راتبا أو أتعابا تقدم له فى أظرف مغلقة تضم جنبيات .. بل يتقاضى منهم خدمات وتسهيلات للأعمال التى يقوم بها .. أى أنه لم يعد مضطرا مثلا إلى أن يكتب معلومات على الآلة الكاتبة ويقدمها إلى صديقه مالوكولم .. يكفى أن يجتمع به كصديق ويتحدثا حديث الأصدقاء ويضمن حديثه كل معلوماته .. وعلى مالوكولم أن يستفيد من هذه المعلومات دون أن يقدمها له فى ورقة مكتوبة .. وقد اقتنع أصدقاؤه



بأنجاهه الجديد .. فهموه .. إن كثيرا من العملاء يتطورون ويصرون على أن يرتفعوا إلى درجة الأصدقاء ..

وكان الدرس الثاني الذى تعلمه هو ألا يتخذ أبدا موقفا سياسيا محمدا معلنا يعرف به .. يجب أن يتجنب أن ينسب نفسه أو ينسبه الناس إلى جهة معينة فى مجالات السياسة الداخلية .. أى ألا ينسب إلى القصر .. أو إلى حزب من الأحزاب .. أو إلى أى تنظيم من التنظيمات .. كما هو حريص ألا ينسب إلى الإنجليز أو الأمريكان .. وإلا قتل كمل قتل منصور باشا الذى قتله القصر لأنه كان مرتبطا بحزب الوفد .. يجب إن يكون على اتصال بكل الأحزاب وكل الهيئات ويترك كل هيئة تعتقد أنه أحد رجالها حتى وإن لم يقبل أن يكون فردا من أفراد التنظيم التابع لها .. ولذلك ظل حتى بعد أن أصبح شخصية كبيرة معروفة يرفض أى منحة تحاول إحدى الجهات أن تسبغها عليه .. يرفض رتبة البكوية التى حاول رجال القصر أن يكسبوه بها .. ورفض أن يكون وزيرا رغم أن أكثر من حزب عرض عليه الوزارة .. لا يريد أن يكون أو أن يعرف بأكثر من أنه رجل أعمال ..

وقد اتسعت أعماله وامتدت بشكل عجيب وبسرعة مذهلة .. وكان الإنجليز قد اعتبروه فعلا خليفة منصور باشا فكرى بل إنه أخذ فعلا كثيرا من التوكيلات الخارجية التى كانت لمنصور فكرى .. توكيلات الاستيراد علاوة على السيطرة على كثير من المنشآت ..

كانت أى مناقضة لمشروع حكومى يتقدم بها ترسو عليه .. وقد تحمل بذلك عدااء كثير من رجال الأعمال من مقاولى المشروعات الحكومية .. ولكنه لم يهتم بهم .. ليس لهم قوة شعبية أو رسمية يستطيعون أن يحاربوه بها ..

وفى الوقت نفسه وخلال اتساع أعماله بدأ يكون تنظيما داخل شركاته وأعماله لجمع المعلومات .. كل أنواع المعلومات .. إنها فكرة أخذها أيضا من منصور باشا فكرى رحمه الله .. إنه هو نفسه عين فى مكتب منصور باشا كرجل معلومات وبتوصية من السفارة .. ولكنه لن يكون كمنصور باشا .. لن يترك للسفارة حتى وضع رجالها فى شركاته كما سبق أن وضعته هو .. إنه يريد أن يحتفظ باستقلاله حتى يستطيع أن يحمى نفسه .. كثير من الملاحظات والظروف التى يقدرها فى رسم حياته لا يقدرها ولا يفهمها الإنجليز فيجب أن يحتفظ باستقلاله فى كل ما يخصه .. ولا شك أن الإنجليز سيفهمونه ويقدرونه .. وعندما اتصل به مالوكولم وطلب منه لأول مرة تعيين شخص - نسى اسمه - موظفا فى شركته اعتذر .. رفض .. وفى لقاء خاص مع مالوكولم أقنعه ألا تحاول السفارة فرض أى موظف عليه ، وهو كفيل بأن يجمع الموظفين الذين يمدونه ويمدون السفارة بالمعلومات .. واقتنع مالوكولم بسرعة .. إن الإنجليز يأخذون كل عميل أو صديق بعقليته ويستسلمون لهذه



العقلية ماداموا يستفيدون منه حتى إذا انتهى ما يستفيدونه منه تخلوا  
وطردوه من دنياهم هو وعقليته ..

وقد بدأ رفعت البيومي يكون التنظيم الخاص به معتمدا على  
ذكاء مدهش .. إنه يختار أفراد التنظيم من الشبان المعروفين بتطرفهم  
الوطني أو بتاريخهم الوطني .. الشبان الذي عرفهم وصادقهم منذ  
أيام حتى الدراسة وحتى الظاهر ومن خلال التجمعات الحزبية التي  
يتردد عليها ، وبعضهم كان يعرف أنهم من أفراد التنظيمات السرية  
التي تقوم بالعمليات الوطنية العنيفة بما فيها عمليات الاغتيال .. إن  
معظم هؤلاء الشبان انتهوا من دراستهم ولم يصلوا إلى شيء إلا أن  
يكونوا من صغار الموظفين .. وكان كلما تعمد لقاء واحد منهم قال  
له في تواضع .. أن الله من عليه وأصبح يدير أعمالا واسعة وأنه  
يعرض عليه أن يشترك معه في العمل استمرارا لصادقتهما .. ثم  
يقول في حماس كأنه يلقي خطابا وطنيا .. إن الأعمال مهما اتسعت  
لا يمكن أن تعفينا من مسؤوليتنا الوطنية .. مهما أخذت الأعمال من  
جهدنا فلا يمكن أن تنسينا ما يجري في البلد .. لا يمكن أن تشغلنا عن  
كل كبيرة وصغيرة من أحداث الوطن .. إنني لا يمكن أن أَرْضَى  
لنفسى أن أنسى أو أتجاهل بلدى متفرغا للتجارة والتصدير والاستيراد  
والأعمال حتى لو انتهى بي ما أوديه من واجب نحو بلدى إلى الافلاس ..  
لقد ولدت مفلسا وأتحمل أن أعود مفلسا ولكنى لا أتحمل أن أتجاهل  
بلدى أو يكون في جيبى قرش بينما بلدى مفلسة ووطنيا وسياسيا ..

مفلسة في العدالة وفي حق الحياة الحرة الشريفة .. وبصراحه لقد  
اخترتك لتعمل معى لأنى لا أنسى أبدا تاريخك الوطني ولأنى واثق  
أن روحك الوطنية ومسئوليتك الوطنية لن تخفت أبدا ..

وكان يقول مثل هذا الكلام لكل من يتعمد لقاءه ثم يعرض  
عليه مرتبا مغريا لا يبالغ فيه حتى لا يثير شكوكه .. يكفى أن يكون  
ضعف المرتب الحكومى المعروف .. وقد استطاع أن يجمع في  
مكاتبه كثيرا من هؤلاء الموظفين وعلى مختلف الأنواع .. شبان  
كانوا من حزب الوفد .. أو كانوا من الإخوان المسلمين .. أو  
كانوا من التنظيمات السرية ، بل إنه استطاع أن يجمع حوله بعض  
ضباط الجيش .. إنه يعرف أن الجيش أصبح يضم أكثر من تنظيم  
سياسى وطنى .. ولا يستطيع أن يقدر قوة وقيمة كل تنظيم وإن  
كانت كلها تنظيمات تدعو إلى الثورة ، ومن الأفضل أن يكون  
على صلة بها جميعا دون أن يدفع أحدهما على الآخر .. ولم يكن  
يعرض على الضباط وظائف في شركاته .. إن قيمتهم لديه في  
وجودهم داخل الجيش .. ولكن هناك كثير من الخدمات البسيطة  
يقدمها لكل من يطمع في خدمة .. كأن يخفض ثمن سيارة يبيعها  
له .. أو يعطيه قطعة قماش من القماش الذى يستورده هدية له ..  
أو يدعوه على العشاء في السهرات المتباعدة التي كان يقيمها للشبان  
الوطنيين .. وكانوا كلهم على اختلاف اتجاهاتهم يتعمدون ويبدلون  
جهدا صادقا في جمع المعلومات السياسية والوطنية .. لقد عرفوا



ان ارضاء صاحب العمل لا يكون إلا بامدادهم بالمعلومات الوطنية ..  
لأنه رجل وطني .. ولا يشكون أبدا في نياته أو فيما يفعل بهذه  
والمعلومات التي يمدونه بها .. وهم في الوقت نفسه في حاجة إلى  
ارضائه .. أكل عيش ..

وقد زودته هذه المعلومات بقوة هائلة يفرض بها شخصيته  
ومطالبه على السفارة البريطانية خصوصا وأن الحالة في مصر كانت  
قلقه وكل ما فيها متوتر بعد أن قرر الانجليز التخلي عن الملك فاروق  
وتركوه دون أن يقدموا على حمايته ودون أيضا أن يخططوا لما يمكن  
ان يحدث لمصر من بعده ..

وفي تلك الأيام التي كان يخطط فيها رفعت البيومي مجده كانت  
قد بدأت تلح عليه فكرة لاتريد ان تفارق ذكاؤه ..

كان يفكر في مصيره مع برعى بك محمود الذي يقال عنه انه  
رجل أمريكا الأول في مصر ..

لقد كان منصور باشا يكره برعى بك ويعاديه معاداة عليه  
ويحقد عليه أو على الأصح يغار منه .. وكان يقال عنه أنه أخطر  
شخصية على مستقبل مصر .. ربما كان منصور باشا يقصد انه أخطر  
شخصية على مستقبل الانجليز في مصر ..

ولكن لماذا يعادى هو برعى بك محمود ؟ وإذا كان يعتبر رجلا  
أمريكا في مصر فان بين أمريكا وبريطانيا تحالفا عالميا قويا كاملا ..

وإذا كان بينهما خلافات أو معارك فهي مجرد معارك تنفيذية سطحية  
في استغلال كل منهم لقوة وجوده .. معارك مفروضة كمعارك أكل  
العيش بين الأفراد .. وحتى لو اشتدت المعارك الى حد أن قضت  
أمريكا على الامبراطورية البريطانية أو على الأقل أفقدتها سيطرتها  
على العالم ، فان بريطانيا حتى بعد هذا ستبقى في تحالف مع أمريكا ..  
ستبقى معها في جبهة واحدة وخط واحد ..

فلماذا لا يحاول رفعت بيومي باعتباره رجلا السفارة البريطانية  
أن يقيم تحالفا مع برعى محمود تحقيقا لصورة التحالف بين أمريكا  
وبريطانيا .. حتى لو استمرت المعارك بينهما في تحقيق الصفقات  
وفرض النفوذ .. ليست معارك ولكنها نوع من التنافس بين دكاكين  
من الدكاكين السياسية والتجارية المشروعة .. وكان رفعت البيومي  
ودكان برعى محمود ..

وانتهز رفعت فرصة التقاؤه ببرعى في إحدى الحفلات العامة  
وقدم له نفسه .. واستقبله برعى في بساطه وبعينين ثاقبتين وابتسامة  
أقرب الى الاستهانة كأنه يعرفه من زمن طويل .. يعرف كل شيء  
عنه .. ولم يهتم رفعت بما عبر عنه لقاء برعى .. لا يهم .. كل منهما  
يعرف عن الآخر كل شيء ..

وقد انبهر رفعت بشخصية برعى منذ التقى به .. انه ليس من  
جيل المرحوم منصور باشا فكري .. انه اصغر سنا ويعتبر من قادة



الجيل الذي بدأ يؤمن بأمريكا منذ انتهاء الحرب العالمية .. وهو يبدو لا يكبر رفعت بأكثر من عشر سنوات وإن كان بريق عينيه وضحكته المستمرة التي يغطي بها أسئلته وكلماته تجعله يبدو كأنه في سن رفعت .. وبرعى يعرف عنه انه لا يخفى نوازع شبابه .. أن مغامراته مع النساء يعلنها كأنه يتباهى بها .. ثم أنه يهوى المظاهر .. لقد قبل رتبة البكويه التي منحها له القصر ، وقبل أن يكون عضوا في مجلس النواب بنفوذ حزب لا ينتمى إليه وكل ذلك نظير خدمات .. وهو في الوقت نفسه نشيطا نشاطا كاسحا .. نشاط أمريكي لا يخضع للتقاليد المحتشمة المتعالية الكسولة التي تفرضها الطبيعة الانجليزية .. ولكنه من ذكائه لا ينسب نفسه لأمريكا رغم كل ما يقال عنه .. أنه يعتمد أحيانا أن يهاجم أمريكا ويدعى أن إعجابه بها محصور في قوتها الاقتصادية لا السياسية ..

واستطاع رفعت أن يستغل لقاءه برعى ويعدد لقاءه به .. وكان يجد دائما مبررا لطلب أى لقاء وكان حريصا أن يردد أمامه أنه يعتبره أستاذه وأنه يتمنى أن يتلقى منه الدروس والنصائح دون أن يعتمد أن يدور بينهما حديث عن السياسة أو عن اتجاه بريطاني أو أمريكي .. الحديث كله دائما عن العمليات .. وفي عيني برعى دائما هذه النظرة الناقدة الى رفعت وهذه الابتسامة كأنه يستهين به .. وبرعى لا يهتم .. يكفي أنه يستطيع أن يصل إليه ..

ووصل رفعت إلى حد أن عرض مشروعاً يشترك فيه مع برعى .. أن برعى اشترى أو استولى على مساحة واسعة من الأرض تبلغ آلاف الأفدنة ليقيم عليها مشروع زراعى ضخم .. سيحتكر قوة القطن والقمح اللذان يتحكمان في حياة مصر .. وذهب إليه رفعت وقال له أن وكيل أكبر شركة للآلات الزراعية في بريطانيا وأنه مستعد أن يورد له كل ما يحتاجه من آلات .. وذلك نظير أن يكون شريكا معه في المشروع وإذا رفض الشركة فهو مستعد أن يسلمه الآلات بثمن مخفض جدا وهو واثق أن عدد الآلات التي يحتاج إليها المشروع ستعوضه عن قيمة التخفيض ..

وضحك برعى ضحكته التي تعبر عن الاستهانة وقال :

— لست في حاجة إلى شريك .. ان الشركة لن تخدمك إلى مدى تصورك ..

وفهم رفعت أنه يقصد أن الشركة لن تكون في خدمة الأغراض البريطانية التي يعرف برعى أنه يمثلها أو يعبر عنها ، ورغم ذلك أخذ يغريه بأن يشتري منه الآلات أى أن يكون متعهدا بمداد الشركة بكل ما تحتاجه من آلات ..

واستطاع فعلا أن يقنع برعى ..

ووضع أول أسس التحالف بينهما ..



التحالف بين بريطانيا وأمريكا ..

واستمر هذا التحالف طويلا .. تحالف ينبض بأعنف ما يصل  
اليه الذكاء .. ينبض بالكرامية والحقد ويكاد ينبض بالدم ..

ورفع رفعت البيومي كأس البرمنت إلى شفثيه ورشف رشفة  
صغيرة ثم علت شفثيه ابتسامة رقيقة مهذبة .. لقد عادت به ذكرياته  
فجأة الى مجدولين ..

أنه لا يستطيع أبدا أن ينسى مجدولين ..

لاشك أنها ساهمت في بناء شخصيته التي نجح بها .. وكانت  
دون أن تتعمد تكاد تكون استاذته .. معلمته .. تعلمه كيف يفكر  
بأسلوب جديد .. الأسلوب الانجليزي العالمي .. وتعلمه كيف يعيش  
ويعاشر مجتمع جديد لم يكن يخطر على باله انه سيعيش فيه .. مجتمع  
يفرض تقاليده ويتعالى بها كأنه مجتمع يعيش في السماء فوق البشر ..  
وهو يذكر أنها تسلت داخل هذا المجتمع حتى وصلت به الى نادي  
الجزيرة الذي كان أيامها محرما على المصريين .. لا يدخله الا طبقة  
كبار الموظفين الانجليز وأفراد العائلة الحاكمة .. العائلة الملكية ..  
انه ناد أقامه الانجليز وسمحوا للعائلة الملكية بالدخول تأفقا ولحجود  
الاحتفاظ بالمظاهر الانجليزية .. وقد أصبح هو يدخل نادي الجزيرة  
كأنه من العائلة الحاكمة .. عائلة كفر البطيخ .. بل أن مجدولين

علمته في نادي الجزيرة لعبة الجولف .. وقد تشبث بلعبة الجولف  
وتعمد أن يبذل مجهودا كبيرا ليتعلمها .. لا لأن الرياضة في طبيعته ..  
أبدا .. انه لم يكن يثير انتباهه أو يحرك احساسه شيء يسمى الرياضة ..  
حتى وهو صغير لم يكن يلعب أبدا مع الصغار الكرة الشراب  
أو عسكر وحرامية أو استغاية .. ولكن الجولف شيء آخر ..  
انه لعبه أولاد الذوات .. لعبة الحكام .. ولم يكن يعلم أن كثير من  
الصفقات الضخمة وكثير من الاتفاقات السياسية تم خلال المشوار  
الطويل الذي يقطعه اللاعبون فوق حشائش وبين أشجار أرض  
الجولف .. وهو الى الآن يلعب الجولف .. وفي مواعيد محددة  
لا تتغير أبدا كما هي عادة الانجليز .. يلعب ثلاثة أيام في الأسبوع ..  
ويبدأ اللعب في الساعة الثامنة صباحا حتى العاشرة .. وقد استفاد  
كثيرا من الجولف .. كثير من الأصدقاء وكثير من الأعمال  
والصفقات وان كان لم يتفوق أبدا كلاعب جولف ..

ومجدولين هي التي غرزت فيه ذوقه ومذاجه بالنسبة لكل  
تفاصيله .. وهو عندما يتجول بعينيه في أنحاء بيته يحس بمجدولين ..  
ان هذا الذوق في اختيار قطع الأثاث ونثر التحف وتعليق اللوحات  
هو ذوق مجدولين .. الذوق الانجليزي .. وهي نفسها التي قامت  
بتأثيث أول بيت كان لها .. شقة جاردن سيتي .. ولكنه هو نفسه  
الذي أثث الشقة التي أصبحت له .. الشقة المظلة على النيل .. نفس  
الذوق بتفاصيل أوسع وأعلى .. الذوق الانجليزي .. ذوق مجدولين ..



بل أن الخدم الذين يعملون في البيت .. كلهم على الطراز الانجليزي ..  
كان لا يمكن ان يضع في بيته نظام البتلر كبير الخدم إلا إذا كان  
قد تأثر بمجدولين .. بل حتى أصناف الطعام التي تعودها .. كلها  
أصناف انجليزية .. ولم يعد يستطيع أن يعيش دون تناول شاي  
الساعة الخامسة ..

وقد عرف بمجدولين وسط هذا المجتمع الانجليزي المصري ..  
هو الذي عرف بها وليست هي التي عرفت به .. انها انجليزية وهي  
ابنة وكيل بنك باركليز فهي الأهم .. وربما كان الكثيرون يحسدونه  
على علاقته بها رغم أنها ليست جميلة .. بل أن قيمتها لا تقاس بأنها  
امراه .. انها انجليزية ابنة وكيل باركليز .. وربما لم يكن البنات  
الانجليزيات يحسدن مجدولين عليه .. فهو ليس وسيا وقصير القامة  
ولا يمتاز بمظهر الفحولة والاثارة الذي يمتاز به كثير من الرجال  
المصريين .. انه مجرد شاب عادي من مئات الشباب الذين يقدمون  
انفسهم خدما للانجليز .. وقد كانت مجدولين تعطيه الكثير .. كانت  
معه كل يوم تقريبا .. وكانت تحمل مسئولية بيته .. وكانت تساعد  
في كل عمل تستطيع أن تساعد فيه .. ولكنها كانت تمتاز بأنها  
واقعية عملية .. لقد وضعت خطاطا محده لعلاقته بها لا تخرج عنها ..  
لا تعطيه أكثر ولا أقل .. وهي كما عودته لم تكن تثير موضوع  
الزواج .. كأنها لا تريده .. ولكنها تركه يأمل في زواجها وتركه  
الفكره تنطلق كلما راودته .. أي أنها ليست فتاة عاطفية تهور وراء

عواطفها .. أنها لا تحب هذا الحب الذي يسمع عنه .. ولكنها  
واقعية .. تعطى لأنها تريد أن تأخذ .. انه هو أيضا لا يحب هذا  
الحب .. انه أيضا صاحب فكر واقعي .. يعطى لأنه يأخذ .. وربما  
كانت هذه الوحدة في الفكر التي جمعت بينهما كل هذه السنوات ..  
إلى أن قتل منصور باشا فكرى ..

وقرر رفعت البيومي أن يعدل عن كل ما يشبه بمنصور باشا ..  
أن منصور باشا كان يجاهر بأنه انجليزي فيجب أن يخفى هو كل  
مظاهر صداقته بالانجليز .. ومنصور باشا كان متزوجا من انجليزية ..  
أن الزواج من انجليزيات يبرز ويؤكد الشخصية الانجليزية على الرجل  
المصري .. ورفعت لن يتزوج من انجليزية .. لن يتزوج من مجدولين  
.. وعدل نهائيا عن التفكير في الزواج بها .. بل أنه يجب أن يبتعد  
عن شخصيتها .. الشخصية الانجليزية .. واذا كانت علاقته بها  
معروفة في المجتمع العالي فان الكلام يمكن أن يصل الى الطبقة  
الشعبية .. ولن يقال أنه يحبها أو أنها تحبه بل سيقال أنه خائن يسعى  
إلى الانجليز ويستغله الانجليز .. أن مجدولين هي الوسام الانجليزي  
الذي يضعه على صدره ويفضحه أمام الناس .. ويجب أن يخلع هذا  
الوسام .. وبدأ يتباعد فعلا عن مجدولين .. وهو تباعد لم يكلفه شيئا  
فقد استقبلت مجدولين تباعده في برود .. وقد قال لها يوما :  
— أن منصور باشا قتل لأنه كان معروفا بأنه أقرب أصدقاء  
الانجليز ..



وقالت في بساطة :

— أعرف .. وهو ما أثار لندن ..

وقال رفعت وهو يتنسم كأنه يتحسر :

— وكان معروفا أنه متزوج من انجليزية .. أن الناس في مصر

يعتبرون الزواج كأنه قضية وطنية ..

وقالت مجدولين ضاحكة :

— لا تزوج من انجليزية .. حتى لا تقتل .. قد يقتلك المصريون

أو الانجليز .. فالانجليز أيضا يعتبرون الزواج قضية وطنية ..

وبدأت مجدولين تتباعد هي الأخرى .. في برود .. ولكن

صداقهما لم تنقطع . أنهما يتحدثان في التليفون بين كل وقت وآخر .

وترسل له الدعوات بانتظام كما تعودت وأن كان قد أصبح يدقق

في اختيار الدعوة التي يلبها .. بل أنه كان يعاني أحيانا الحرمان ..

أن مجدولين هي المرأة الوحيدة التي دخلت حياته حتى اليوم ..

دخلت فراشه ودخل في جسدها .. فكان يدعوها إلى البيت في ليالي

متباعدة .. وتلبى الدعوة في بساطة .. أنها تعلم أنه محروم ويريد

التخفيف من حرمانه وهي أيضا محرومة وإن كان حرمانها لا يلح

عليها كما يلح عليه .. أنها أقوى في برودها .. وما بينهما صداقة

تحتل كل شيء .. وهي صداقة تعيش حتى اليوم .. وكلما سافر

إلى لندن التقى بها .. لقد أصبحت عجوزا ولم تزوج بعد .. وهو

حسن حتى اليوم كلما التقى بها أنها استاذته .. صاحبة الفضل في

كوين شخصيته .. ويستفيد من دروسها وذوقها حتى في شراء

قطعة جديدة من لندن يضعها في بيته ..

وأيامها . وفي أوقات فراغه . بدأ يفكر . لماذا يكتفي بمجدولين

ويحصر نفسه في تعوده على جسدها .. لماذا لا ينطلق في اشباع

فحولته . لقد وصل إلى مركز وثرأ يكفيه ليصل إلى كثير من النساء

حتى لو كان من هذا النوع من النساء .. ان برعى محمود معروف

بمغامراته النسائية ورغم ذلك فمغامراته لا تؤثر في مركزه أو في سمعته .

وربما لأنه يؤكد وطنيته يحصر مغامراته بين النساء المصريات ..

فلماذا لا يغار هو الآخر ليحرر نفسه من الحرمان ..

وكان لديه موظف في الشركة قريبا في عمله منه .. لاشك أنه

كان موظفا كفؤ .. ولكن عيبه أنه كان يقدم زوجته في كل مناسبة

وأحيانا في مناسبات لا تفرض عليه تقديمها .. ولا شك أن زوجته

خيرية كانت مشيرة وكانت تتباهى بأنها مثيرة وتبدو كأنها تعتمد

إثارة كل الرجال .. لقد كانت تعتمد اثارته هو شخصيا في كل

مناسبة يلتقيان فيها .. وكان يترفع على هذه الاثارة ويعتمد الابتعاد

عنها وهو يبدى سخطة وقرقه .. ولكن لماذا يتعالى .. لماذا لا يحاول

ويجرب .. وفي حفل من حفلات المناسبات التي تقيمها الشركة

تقدمت مع زوجها لتحييه وهمت أن تباعد بسرعة بعد أن كانت



قد يثبت منه ولكنه استوقفها وأخذ يتحدث معها ومع زوجها ..  
وشمل الحديث آخر ما ظهر من قطع الأثاث في السوق وقال ضاحكا:

— انى أدعوك لمشاهدته بيتى حتى تعرفى ذوقى ..  
وحدد لها موعدا .. وكان يحادثها وبجانها زوجها .. وكان  
يشترك في الحديث وسمع الدعوة وسمع تحديد الموعد ..

وكان ينتظرها في بيته هي وزوجها وهو يخطط لتحديد موعد  
آخر لها وحدها .. يجب أن يبدأ بريثا حتى يتأكد من أنه يستطيع  
أن يخرج عن براءته ..

وإذا بها تأتى وحدها ..  
وسأل في دهشة :

— أين زوجك ؟  
وقالت ضاحكة :

— لقد فهمنا ان الدعوة لى وحدى .. ثم أنه لا يفهم فى قطع  
الأثاث ..

وأخذها ليلتها في فراشه .. أول امرأه يأخذها بعد مجدولين ..  
والفارق كبير .. ان المصرية تختلف فى كل خلجة عن الانجليزية ..  
وأشهى وألد ..

ولم يحس بحرج عندما التقى بزوجها فى مكتب الشركة فى اليوم  
التالى .. وكان الزوج هو الذى طلب مقابله ليعرض موضوعا تافها

لم بتعود أن يعرض مثله .. ربما أصبح هذا الزوج صاحب حق عليه ..  
وهو فعلا أصبح أكثر جرأة فى التحدث اليه وان كان لم يشر بكلمة  
من قريب أو بعيد تشير بأنه ترك زوجته تزوره فى الليلة السابقة ..  
لا يهم .. يجب أن يعود نفسه على التعامل مع هذه الشخصيات ..  
مثل هؤلاء الأزواج ..

وقد تعود فعلا .. بل تراحت علاقته ومغامراته كأنه دخل  
عالمًا جديدًا كان خافيا عنه .. عالم التحرر من الحرمان .. وعرف  
عنه أنه عين كثير من النساء والبنات فى مكاتب الشركة .. كل من  
عينها مرت به .. بل أنه أصبح خبيرًا فى معاملات الزوجات فى  
المجتمع .. سواء المجتمع الراقى الذى أصبح يضمه أو المجتمع الشعبى  
الذى لا يزال متصلا به .. أن له نظرة ثابتة يستطيع أن يفرق بها بين  
الزوجة التى يمكن الوصول إليها فيحاول الوصول، والزوجة لا يمكن  
ان يصل إليها أحد فلا يحاول بل يحتفظ أمامها بالشخصية الهادئة  
البريئة المتزمتة فى الحفاظ على الشرف فيكسب تقديرها له ..

لاشك أنه أصبح متفوقا على برعى بك محمود فى هذا  
العالم الواسع ..

إلى أن فوجئ رفعت ذات صباح بخبر ثورة ٢٣ يولييه ..  
لقد كان يعرف أن مصر فى حالة غليان ولكن لم يكن ينتظر  
مثل هذه الثورة ولا فى هذا التاريخ .. كان كل ما ينتظره ثورة



شوارع تهدد الملك فاروق حتى يفيق لنفسه أو تطيح به وتضع مكانه ملكا آخر .. كما حدث في التاريخ القريب .. وهكذا كان يعتقد الانجليز وما كانوا يسعون إلى تحقيقه . بل أن هذه الثورة رغم أنها لم تكن مجرد ثورة شوارع قد بدأت بما كان يتصوره الانجليز .. عزلت فاروق ووضعت مكانه ابنه في رعاية مجلس وصاية ..

وكان يومها مختارا .. واتصل ببعض من يعرفهم ليتزود بالمعلومات ، ثم اتصل برعى بك محمود في نفس الصباح وقال وهو يضغط على صوته حتى لا يرتعش :

- هل علمت ..

وسمع صوت برعى يقول في فرحة وكأنه يزغرد : لا .. لا .. لا ..

- لم تكن مفاجاه .. سنتحدث فيما بعد ..

وألقي برعى بسماعة التليفون في وجهه ، ورفعت يزداد حيرة :

ماذا يعنى برعى عندما قال أنها لم تكن مفاجاه ؟ !

هل كان يعرف عن هذه الثورة قبل أن تقوم ؟ !

هل كان الأمريكان يعرفون ؟ !

هل هى ثورة لحساب أمريكا ؟ !

( ٥ )

ظل رفعت البيومي حائرا في تحديد مفهومه للثورة وتحديد وضعه منها شهورا طويلة .. وكان أهم ما يشغله هو تحديد موقف أمريكا منها .. هل كانت أمريكا تعلم مقدما بهذه الثورة واشتركت في إعدادها بطرقها الخاصة .. ولم تكن أمريكا هى التى نهجه بل كان ما يهيمه أولا هو صديقه اللدود برعى بك محمود رجل أمريكا فى مصر .. ولو كانت أمريكا هى التى صنعت هذه الثورة فإن برعى يصبح الحاكم بأمره ويستطيع أن يطيح به ويخرب بيته بهزه من أصبعه .. يستطيع أن يطرده كما تحاول أمريكا أن تطرد بريطانيا من مصر .. المعلومات التى تصل تؤكد أن برعى فى حالة تقارب أوسع مع رجال الثورة .. بل انه سمع أنه ومنذ الأسابيع الأولى بدأ يعد لصفقة ضخمة لاستيراد القمح من أمريكا ولا يمكن أن تتم هذه الصفقة الا اذا كان



يعمل مع رجال الثورة واستطاع أن يطويعهم في جيبه .. لاشك أن أمريكا تؤيد هذه الثورة ..

ولكن المعلومات التي تصله لم تعد كافية .. ان المصادر التي كان يعتمد عليها أصبحت أعجز من أن تصل الى أعماق الأحداث .. الشبان الوطنيون الثوريون .. رجال الأحزاب .. رجال القصر .. كل هؤلاء لم تعد الدفة في يدهم .. دفعة الحكم ودفة التصرف في مصير مصر .. رغم أنهم كانوا لا يزالون في أوائل الثورة محتفظين بقيمتهم وبوجودهم .. بل أن المعلومات التي كانت تصله لم تعد تثير أصدقاءه الانجليز عندما كان يقدمها لهم . حتى التفاصيل التي كان يحصل عليها عن تولى قيادة الثورة العمليات الثورية التي تقوم ضد القوات البريطانية المتمركزة على ضفة القنال .. حتى هذه التفاصيل التي كان يحصل عليها من المشتركين في هذه العمليات كان الانجليز يسمعونها في برود .. ليس جديد عليهم أن تقوم عمليات ثورية ضد قوات الاحتلال .. لقد تعودوا على مواجهة هذه العمليات منذ قبل الثورة ويعرفون كيف يخططون لمواجهة الثورة .. حتى لو كانت الهيئة الحاكمة أو الحكومة تؤيد الثورة ضدهم .. كل هذا ليس جديدا والجديد هو أن يعرفوا ما في داخل عقول رجال الثورة .. كيف يرسمون مستقبلهم ومستقبل مصر داخليا .. وما هي القوى الداخلية التي يعتمدون عليها .. ان الاحتلال من السهل عليه ان يواجه العمليات

الثورية الصريحة العلنية ، ولكن الصعب هو صد التحركات السرية قبل أن تبدأ وتمزيق القوى قبل ان تجتمع وتكتل ..

وكان يجب حتى يحتفظ بقيمته أن يسعى إلى الوصول إلى مصادر أوسع .. وليس هناك مصادر يمكن أن تمتد بما يريد الا مصادر ضباط الجيش الذين يسمون أنفسهم الضباط الأحرار خصوصا المقربين منهم الى مجلس قيادة الثورة .. أنهم وحدهم الذين يستطيع من خلالها أن يكتشف كيف تفكر الثورة وكيف تخطط .. وكان من بين مصادره منذ قبل الثورة بعض الضباط الشبان الثوار .. ولكنه في الواقع لم يكن اهتمامه عليهم .. لم يفد أن يكون من بينهم من يمكن أن تكون له قيمة في تحقيق ثورة إلى أن فوجيء بأحدهم بعد الثورة وهو يعمل في مكتب قائد الثورة .. انه البكباشي عبدالله عبد الصبور .. ولكن عبدالله أصبح صعب المنال .. لقد أرسل له أكثر من رسول لتحديد لقاء دون أن يلقاه .. انه معذور .. انه يبقى في مكتبه بمجلس القيادة طول النهار وطول الليل .. ومكاتب كل مجلس القيادة أصبحت تجمع بين المكتب الذي يعملون عليه والفراش الذي يلجأون اليه في لحظات لا يستطيعون فيها مقاومة النوم .. الى أن فوجيء بالبكباشي عبدالله عبد الصبور يزوره في مكتبه وبلا موعده .. ان عبدالله تغير .. انه ليس متواضعا صموتا كما عرفه قبل الثورة .. انه يتكلم في لهجة قوية كأنه يلقي أوامر .. وجاءه وهو مرتد البدلة العسكرية بعد أن كان قد تعود ألا يزوره



الا وهو مرتد البدلة المدنية اخفاء لنفسه .. وقال عبدالله في لهجة  
سهلة صريحة :

- لقد جئت اليك لتساعدنا مع أصدقائك الانجليز ..

وبهت رفعت .. انها أول مره يواجهه فيها أحد المسئولين  
بصداقته للانجليز .. هل هو اتهام .. وقال وكلياته تتعثر :

- انهم أصدقائي لأنى أعمل معهم فى عمليات الاستيراد ..  
صداقة عمل ..

وقال الضابط فى فتور :

- نعرف .. نحن نعرف كل شىء وواثقون أنك تستطيع  
أن تعاوننا .. ولدينا معلومات كافية عن تخطيط السياسة الانجليزية  
بالنسبة للجلاء عن القناة .. ولكنها معلومات من جانب واحد  
ونريد معلومات من الجانب الآخر .. الجانب الانجليزى ..

وطال وطال الحديث وصورة ترسم فى عقل رفعت عن وضع  
جديد بالنسبة له .. أن الثورة بصراحة تطلب منه أن يخدمها كما  
يخدم الانجليز .. أى أن يكون عميلا مزدوجا .. عميل للثورة وعميل  
للانجليز .. ولعلها لم تسع اليه الا وهى واثقه أنها الأقوى .. انها  
تستطيع أعدامه بتهمة الخيانة مادامت تعلم أنه رجل الانجليز  
ولكنها فضلت بدل اعدامه أن تستغل علاقته بالانجليز لصالحها ..  
أنهم أذكىاء ..

ولكن من يمثل الجانب الأول الذى يقول عبدالله أنهم يستقون  
منه معلومات .. لعله برعى محمود .. لعلمهم أكتشفوا أيضاً علاقته  
بالأمريكان فوضعه هو الآخر عميلا مزدوجا .. وان كانت العلاقة  
بالأمريكان ليست فى خطورة علاقته بالانجليز .. ان أمريكا لا تحتل  
مصر عسكريا ..

ومادامت الثورة قد واجهته بصراحة فيجب أن يستسلم .. لم  
يعد من حقه الاختيار .. كان قد اختار الاعتماد الكلى على علاقته  
بالانجليز لأنهم كانوا القوة الوحيدة فى مصر .. القوة التى تحكم  
القصر الملكى وتحكم الأحزاب وتحكم كل ما فى مصر .. وربما كان  
كل رجال السياسة يعرفون أيامها علاقته بالانجليز ولكنهم لم  
يكونوا يصارحونه بأنهم يعرفون خوفا من أن تحمل مصارحتهم  
معنى الاتهام له فيخسرون الانجليز .. وكانوا يستسلمون له لأنهم  
يستسلمون لقوة الانجليز .. القوة الوحيدة .. ولكن يبدو الآن  
أن القوة الوحيدة لم تعد قوة الانجليز .. ان حكم الثورة يبدو  
كأنه حكم مستقل بنفسه .. حكم يمثل قوة بجانب قوة الانجليز ..  
ربما قوة الشعارات التى ثاروا بها ويمكن أن يستمروا بها حتى إلى  
أن تفشل الثورة ، وربما قوة تعتمد على تأييد أمريكا .. المهم أنه لم  
يعد يستطيع الاعتماد على قوة بريطانيا وحدها .. الا إذا كان غيبا فى  
حين أنه أذكى الأذكىاء .. يجب أن يعتمد على كلا القوتين .. وبدأ  
فعلا فى تقديم المعلومات إلى رجال الثورة عن طريق صديقه عبدالله



عبد الصبور .. وتقديم معلوماته للانجليز عن طريق صديقه مالمو كولم ..  
وان كان قد بدأ يقدر ويقيم المعلومات التي يقدمها هنا وهناك حتى  
يحتفظ بثقة كلا الطرفين .. ليس كل ما يعرفه يقدمه .. ولكنه يقيم  
بحرص شديد ما يقدمه لرجال الثورة وما يقدمه للانجليز ..

وقد فهم في الشهور الأولى للثورة مالم تفهمه الأغلبية في مصر ..  
لأنها أغلبية جاهلة حتى مستوى القادة .. فهم أن الانجليز يؤيدون  
هذه الثورة .. بل ربما كانوا يعملون لمثلها .. فهي ثورة أطاحت  
بالمملك فاروق الذي كانوا قد فقدوا ثقتهم فيه إلى نهايتها .. ثم أنها  
ثورة تؤكد أنها ستبقى محتفظة بنظام الحكم .. النظام الذي وضعه  
الانجليز ويحرصون على استمراره .. نظام الديمقراطية الانجليزية ..  
والثورة اعترفت بابن فاروق وليا للعهد .. وأقامت مجلس وصاية ..  
ووعدت بعودة الأحزاب إلى الحكم بعد فترة انتقال لا بد منها ..  
أي نفس نظام الحكم الذي يريده الانجليز .. بل أن رفعت تأكيد أن  
الانجليز قرروا الجلاء العسكري عن منطقة القناة .. ولكن تكتيكهم  
لا يزال التكتيك القديم المنفر .. ويماطلون ويمرقون ويتلاعبون  
بالألفاظ .. عقلية جافة متزمتة لا يمكن أن تتطور لتلحق بفن التكتيك  
السياسي الجديد الذي ظهر بعد الحرب العالمية .. وهو ما فتح أمام  
أمريكا مجالا واسعا للتدخل بين مصر وبريطانيا على اعتبار أنها  
صديقة للطرفين .. بل كأنها أصبحت شريكا كاملا في قضية الجلاء

البريطاني كما أصبحت بعد ذلك بسنوات طوال شريكا كاملا مع  
مصر واسرائيل ..

وقد أصبح رفعت بيندل مجهودا أكبر في جمع المعلومات وهو  
يحس أن المنافسة بينه وبين برعى محمود تشتد .. المنافسة بين بريطانيا  
 وأمريكا .. وقد علم أن برعى يقيم اجتماعات سرية بين رجال  
الثورة والشخصيات الأمريكية التي تتولى القيادة في السفارة  
الأمريكية .. وقد تعمد أن يعد مثل هذه الاجتماعات السرية ، وجمع  
بين صديقه مالمو كولم وعبدالله عبد الصبور مدير مكتب القائل ..  
ويذكر أنه يومها حاول أن يترك الاثنين وحدهما كأنه يريد أن يقول  
لها أن لا تدخل له في الأسرار .. لولا أن قال له عبدالله في لهجته  
الأميرة الجديدة :

— أجلس يارفعت بك .. أنك لست غريبا ولم نتعود أن نخفي  
عنك شيئا ..

إلى أن تطورت الأحداث ووجد رفعت نفسه في حاجة إلى  
مزيد من الذكاء ..

لقد بدأ الخلاف داخل حكم الثورة بين محمد نجيب وجمال  
عبد الناصر .. واكتشف رفعت بسرعة أن الانجليز يؤيدون محمد  
نجيب بينما الأمريكيان يؤيدون جمال عبد الناصر ..

لماذا ؟



ما الفرق بين محمد نجيب وجمال عبدالناصر بالنسبة للانجليز  
والأمريكان؟! ..

ربما كان الانجليز يعتبرون محمد نجيب أكثر اقتناعا وإيمانا  
وتمسكا بنظام الحكم القديم .. نظام الديمقراطية الانجليزية .. لأنه  
عجوز .. والانجليز حريصون على استمرار هذا النظام .. بينما  
الأمريكان يعتبرون عبدالناصر ذو عقلية ثائرة على كل آثار الانجليز  
بما فيها نظام الحكم ويمكن أن يقلب كل ما في مصر إلى جديد ..  
وأمریکا وهي تقيم الامبراطورية الجديدة تريد كل شيء جديد ..

ورفعت يركز كل ذكائه في اختيار موقعه بين محمد نجيب  
وعبدالناصر .. وهو رغم ارتباطه بالانجليز فيجب أن يحسب حساب  
مستقبله .. وهو في تقديره لا يستطيع أن يتجاهل قوة عبدالناصر  
رغم الشعبية التي كان محمد نجيب قد حصل عليها .. ثم أن حلقة  
الاتصال بينه وبين الثورة أي عبدالله عبدالصبور من رجال  
عبدالناصر ..

وبدأ يجتاز فترة حرجة من عمره .. لقد كان حريصا على أن  
يعرف رجال جبهة عبدالناصر أنه منهم وفي الوقت نفسه يحاول أن  
لا يخسر جبهة محمد نجيب .. بل أنه كان يعتمد أن ينقل أخبار جبهة  
عبدالناصر إلى جبهة محمد نجيب وأخبار جبهة محمد نجيب إلى جبهة  
عبدالناصر معتمدا على أسلوبه وتكتيكه في نقل الأخبار بحيث  
لا يخسر هذه الجبهة أو تلك .. أخبار ينقلها كأنها مجرد كلام ..

إلى أن انفرد عبدالناصر بحكم الثورة ..  
ان الانجليز أغبياء في كل تقديراتهم .. غباء العواجز الذين  
أصبحوا عاجزين عن التطور ..

وكان الجلاء قد تم في هذه الفترة .. ورغم أنه تم وفقا لكل  
مطلبه الانجليز .. ورغم أنه لولا صداقتهم وتأثيرهم على محمد نجيب  
لم يوقع على معاهدة الجلاء وتركها لعبدالناصر يتصرف كما يريد  
فقد كان رافضا لشروط المعاهدة .. إلا أن الأسلوب الانجليزي  
القديم جعل الجلاء يبدو كأنه تم رغم أنهم وأن الفضل في تحقيقه  
للأمريكان ..

لا شك أن برعى محمود أصبح أقوى بعد الجلاء .. لقد أصبحت  
أمريكا هي الأقوى .. وبدأ رفعت يحس أن قيمته لدى رجال  
الثورة تنهار .. وقد بلغ من حقه على برعى محمود وغيفه منه أنه  
وجد نفسه يجمع كل ما يصل اليه من معلومات ويقدمها إلى صديقه  
الانجليزي مالوكولم .. وصديقه يستمع في فتور وعلى شفثيه  
ابتسامة كأنها ابتسامة اشفاق كأنه يعلم سر المنافسة العنيفة بينه وبين  
برعى .. المنافسة في حيازة الحكام إلى كل منهم .. إلى أن  
قال له مالوكولم مرة :

— أننا نعرف أن برعى محمود صديق للأمريكان .. ونعرف  
أنهم يعتمدون عليه إلى حد كبير .. ويقال أنه فعلا في منتهى النشاط



وموهوب بالقدر على خدمة الأصدقاء .. ولا يهمننا أن نعرف عنه  
أكثر مما نعرفه .. بل أنه لو قدم إلى الأصدقاء معلومات تهمننا فهي  
تصل إلينا عن طريق الأصدقاء .. أنت تعلم أننا حلفاء ..

وبهت رفعت وكأنه أفاق ..

صحيح .. ماذا يهم السفارة البريطانية من أخبار برعى .. وما قيمته  
بالنسبة لهم وماذا يريد منهم بإبلاغهم أخباره .. هل ينتظر أن يطردوه  
أو يتخلوا عن ثقتهم فيه .. أنه ليس تابعاً لهم .. أنه تابع لأمريكا ..  
وكان يجب أن يقدر أنه رغم كل التنافس السياسي بين بريطانيا  
 وأمريكا فإن التحالف قائم ويفرض عليهما أن يتبادلا المعلومات  
 الهامة .. المعلومات التي يقدمها هو إلى بريطانيا تصل إلى أمريكا ،  
 والمعلومات التي يقدمها برعى إلى أمريكا تصل إلى بريطانيا .. أنها  
 أصول التعامل الدولي بين الحلفاء ..

وشعر أن ذكاؤه قد خانه واندفع في تقديم معلومات عن  
 برعى .. كان يجب أن يبدو متعالياً لاهمه برعى وفاهما لكل  
 ما يتطلبه التعامل الدولي .. وكف عن تقديم معلومات أو أخبار عن  
 برعى للسفارة البريطانية .. ورغم ذلك فقد كان يتمنى أن يصل إلى  
 معلومات عنه يقدمها لرجال الثورة لا للسفارة .. أنه لو استطاع أن  
 يبذر الوقيعة بين برعى والثورة لاستراح منه وأصبح هو وحده  
 القوة التي تحتاج إليها الثورة .. هذا النوع من القوة ..

أنه لن يستسلم أبداً للانهيار .. لن ينزوي ولن يكف عن  
 المحاولة ..

إلى أن حدث الاعتداء الثلاثي ..

لقد أصبح برعى محمود هو كل شيء فصر تريد أمريكا  
 لتتخذها من هذا الاعتداء .. ووصل الاحتياج إلى برعى إلى حد أنه  
 كان يرسل في مهمات رسمية في الخارج أثناء فترة الاعتداء .. مهمات  
 يتكلم فيها باسم قيادة الثورة وإن كان يسافر باسم أنه من رجال  
 الأعمال ..

وتحقق الأمل ..

وانسحب المعتدون .. انتصر قادة الثورة على بريطانيا وفرنسا  
 وإسرائيل .. وربما كان برعى محمود يضحك بينه وبين نفسه  
 ساخراً .. أنه هو الذي انتصر .. هو .. أمريكا ..

وأصبح رفعت البيومي كأنه لم يعد شيئاً .. رغم أنه حاول أن  
 يقدم الخدمات في أيام هذا الاعتداء وكان يعتمد أن يبدو ضد  
 الإنجليز ويكشف عن أسرار يحاول أن يقنع بها القادة بأنها أسرار  
 كفيّة بأن تطرد الإنجليز والفرنسيين والإسرائيليين من مصر ..  
 ولا شك أنه أبلغ القيادة عن الاعتداء قبل أن يقع .. كان كلما  
 اتصل بالوكولم بعد إعلان قرار تأميم القناة سمع منه قوله .. لن  
 نسكت على هذا .. لا يمكن أن نترك قناة السويس تؤمم .. أتى أعلم  
 أن هناك عملية كبيرة ستحدث .. وكان مالوكولم يقول له هذا



الكلام في غيظ وحقد وحده كأنه هو شخصيا أعلن الحرب على مصر .. ولم يقل له مالوكولم أن الاعتداء سيقع ولا شيئا من أسرار تفاصيل هذا الاعتداء ، ولكنه كان ينقل كلماته إلى القيادة وكانت كلمات تكفي لتقدير أن الاعتداء سيقع .. وإن كان لم ينس مسئوليته تجاه الانجليز .. لقد أبلغهم بالتفكير في تأمين قناة السويس قبلها بشهور .. ولكنهم أغبياء تكاسلوا في تفكيرهم حتى لم يجدوا ردا على التأمين الا هذا الاعتداء ..

...

وكان رفعت البيومي يستعرض ذكرياته وهو جالس في استرخاء على الأريكة العريضة وأمامه كأس فارغ وبين أصابعه سيجار لا يرفعه إلى شفثيه .. عندما وصلت زوجته آمال وهي منتصبة في خطواتها برشاقة هادئة وبين شفثيها ابتسامة حلوة حنونه تظل من عينيها الجادتين .. انها ست البيت التي تحمل المسئولية كاملة .. مسئولية راحة البيت وراحة زوجها .. وقالت في طعنه تجمع بين حب الزوجة ومسئولية المشرفة العامة على هذه الناحية من حياة الزوج :

— تأخرت كثيرا عن النوم ..

وقال رفعت ضاحكا وهو يضمها بعينيه :

— أحسن كافي نائم وأحلم .. نائم مع ذكرياتي ..

وقالت وهي تضحك ضحكها الرصينة الجلييلة :

— عودتني ألا تنام بعيدا عني .. لا يأخذك مني شيء حتى ولا ذكرياتك .. قم .. تأخرت كثيرا عن موعد النوم ..

وقال من خلال ابتسامته :

— سألحق بك ..

وقالت من خلال ابتسامتها :

— لم أتم في انتظارك .. وأريد أن أنام .. لا تتأخر ..

وتركته مبتعدة إلى داخل البيت وهو يتبعها بعينيه وبريق من الزهور والغرور يعاوده .. أن آمال تمثل وحدها مرحلة ناجحة من مراحل حياته .. كان بعد الثورة قد بدأ يقتنع بأن حياته الخاصة التي يحياها لم تعد تصلح لتحقيق أهدافه في هذا المجتمع الجديد الذي بدأ يفرض وجوده .. حياة الرجل الأغرب المعروف بمغامراته النسائية .. والتي تتسع لتقديم خدمات نسائية وليالي ماجة للأصدقاء وصحيح أن قصص العلاقات النسائية لا تزال منتشرة بعد الثورة وظهر فيها نوع جديد من القصص عن مغامرات الضباط مع نساء العائلة المالكة والطبقة الراقية القديمة .. ولكن هذه القصص لم تعد واقعا مقبولا ومعترفا به اجتماعيا .. على الأقل من ناحية المظهر .. مظهر الفسق .. وإن كان الفسق لا يزال يعيش داخل السرايب .. وليس قائد الثورة شخصية تعيش ملذاتها الخاصة .. تقامر مع



النساء أو تلعب القمار أو تقيم الليالي الصاخبة .. وتجعل من هذه الملذات واقعا اجتماعيا من حق كل الناس أن تعيش فيه .. كما كان الحال أيام الملك فاروق .. وكل قادة الثورة من الطبقة الوسطى التي لا تزال تؤمن في ترمت بمبادئ التقاليد الشرعية .. وتحكم على الرجل بحياته الخاصة الظاهرة .. أى إذا أراد امرأه فليتزوج .. وإذا كانت هناك امرأة لم يتزوجها فليخفيها في قاع حياته بحيث لا يعرف بها أو تعرف به ..

أى أنه يجب أن يتزوج حتى يعيش هذا المجتمع الجديد الذى يعيشه القادة .. يجب أن يتزوج لا لأنه فى حاجه إلى الزواج ولكنه فى حاجة إلى التعامل مع هؤلاء القادة والحكام الجدد ..

ولكن كيف يتزوج .. ومن يتزوج .. أنه لا يمكن أن يتزوج امرأة مرت على فراشه مهما كانت قيمتها الاجتماعية .. وقد مرت على فراشه بنات ونساء كثيرات من الطبقة الراقية .. طبقة الحكام .. هذه بنت فلان وهذه زوجة علان .. وكانت كل منهن ترضى غروره .. كان لا يكتفى بالاحساس بأنه يأخذها بل كانت متعنه الكبرى هو احساسه بأنه يأخذ أبيها أو يأخذ زوجها .. ينهكها فى فراشه .. ولم يفكر أبدا فى الزواج من احدها .. وان كانت قد مرت به قصصا أضطر فيها أن يكذب وأن يخدع .. ربما لأن أصله لا يزال يرسب فى أعماقه ويتحكم فى شخصيته .. أصله كابن فلاح من كفر البطيخ .. ليس بين رجال كفر البطيخ رجل يرضى أن

يتزوج امرأه يستطيع أن يأخذها إلى فراشه بلا زواج .. وربما لذلك تردد فى الزواج من مجدولين ابنة وكيل بنك باركليز رغم أن مصالحه كانت تلح عليه أيامها ليتزوجها .. ولعل البنات والنساء اللاتي مررن بفراشه لم تفكر احداهن أو تسعى للزواج به .. كانت كل منهن تقبل به كأنها مقدمة على لعبة مغرية تجربها .. لعبة مع رجل ناجح ثرى مشهور .. لعبة قد تخرج منها هدية ثمينة .. أو بتوظيف واحد من أهلها لدى شركة من الشركات .. أو بمجرد التمتع بالفرجة على اللعبة كما تنفجر على فيلم سينمائى من الأفلام الممنوعة .. لذلك فليس فى حياته كلها قصة حب .. أنه لا يعرف الحب بل لا يعترف بأن ما يسمى بالحب .. هناك عمل .. عمل فقط .. وما كان يجرى على فراشه كان مجرد عمل .. عمل لذينة ..

إلى أن التقى بآمال ..

والغريب أنه التقى بها لأول مرة عند برعى محمود .. كان يقيم حفلا رسميا بمناسبة افتتاح شركة جديدة لاقامة مزارع انتاج الفراخ والبيض .. شركة تساهم فيها أمريكا طبعاً .. وكانت آمال بين المدعوين .. جاءت مع أبيها .. وشدت عيني رفعت .. انها ليست فى منتهى الجمال .. وليس هذا النوع من الجمال الذى يثير شهوة الرجل ويجعله يحملها بخياله إلى فراشه .. ربما شد عينيها شخصيتها الجادة المحترمة التي تبدو بها حتى من بعيد وهى واقفة بين صديقاتها المتجمعات فى الحفل .. ووجد نفسه يقترب اليها عندما أحاط بها



بعض أصدقائه من المدعوين .. وكان أول ما لاحظته عنها أنها كثيرة الأسئلة .. وكلها أسئلة خاصة بتفاصيل الشركة التي يحتفل بافتتاحها .. وكلها أسئلة علمية كأنها تحاول أن تدرس وتفهم .. ولكنها لم تكن تلح في أسئلتها إنما فقط كانت كأنها تختار موضوع الحديث الذي يجمعها مع هؤلاء الرجال .. وقد احتد الحديث حتى قال لها أنه هو شخصيا بدأ في مشروع استيراد الأقمشة والمنسوجات من بريطانيا وبهم أن تشاهد أنواع من هذه الأقمشة حتى تقول رأيها فيها ، وقال ضاحكا :

— ان الشابات الصغيرات أقدر على الحكم على مستقبل البضائع من السيدات ..

وقالت من خلال ابتسامتها المحترمة :

— أنا لست صغيرة .. وأرحب بأن أرى البضائع التي تقول عنها ..

واستطاع أن يحدد معها موعدا لزوره في الشركة ..

وبسرعة جمع كل ما يستطيع أن يعرفه عنها .. أنها فوق العشرين وكانت طالبة في مدرسة البنات الأمريكية ثم أصبحت الآن طالبة في الجامعة الأمريكية .. وهي من عائلة كبيرة محترمة .. ليست من عائلات الطبقة التي كانت معروفة قبل الثورة ولا من العائلات التي عرفت بعد الثورة .. ليس في عائلتها أحد من الضباط الأحرار ..

ولكنها عائلة من هذا النوع من العائلات القديمة التي تحافظ على احترامها لنفسها .. أنهم يملكون خمسمائة فدانا حول شبين الكوم .. ثم أنها ليست معروفة بشيء إلا بنشاطها داخل بعض الجمعيات النسائية ..

ولكن ما علاقتها ببرعى بك محمود وقد التقى بها عنده ؟!

لا علاقة .. وليست موظفة عنده أو تعمل معه .. أنه يكاد لا يعرفها .. لقد كانت في الحفل بصحبة والدها .. وهو يعرف والدها الدكتور مصطفى فهم .. أنه دكتوراه في الزراعة ويعمل مستشارا لبعض الدور الزراعية .. لا يمكن أن يكون والدها مشرعا مع برعى محمود في علاقته بأمرىكا ..

وقد جاءت إليه في الموعد المحدد .. وقد أحس منذ اليوم الأول أن الحديث بينهما لا يمكن أن ينتهي .. وقد تكررت اللقاءات وهي مقبلة عليها دون أن يكون لديها أهداف من وراء هذه اللقاءات .. يكنى أن تدرس وتفهم ولا شك أنها تستريح إلى لقائه .. وقد حاول معها وهي من الذكاء بحيث تفهم ما يحاول ولا تصده بغضب ولا تعطيه بل تصده وهي تكتسب مزيدا من احترامه .. وقد عرض عليها كما تعود أن يعرض على كل الفتيات اللاتي يردنهن أن تعمل في شركته .. مشرفه على اختيار الأقمشة والمنسوجات المستوردة .. ولكن لا .. أنها تفضل التفرغ لدراستها في الجامعة الأمريكية إلى أن تنتهي منها ..



إلى أن جاء اليوم عندما قال لها وبين شفثيه الرفيعتين ابتسامة  
جادة :

— هل تعرفين ما ينقصني في حياتي وفي عملي ؟

قالت في بساطة :

— ماذا ؟

قال وهو يلفها بكل عينيه :

— الزواج ..

وردت ضاحكة :

— تزوج حالا ..

وقال وهو يقبل بكل وجهه إليها :

— هل تقبليني زوجا ..

وسكنت طويلا ولكن دون أن تبدو كأنها فوجئت أو ذهلت

بهذا العرض أو كأنها كانت تنتظره، أو لعلها تفترضه في كل رجل  
يطول اللقاء بينها وبينه .. أنها واثقة من نفسها .. وقامت منصرفة  
وهي تبسم في خضر قائلة :

— سألقاك عندما تزور بابا ..

ولم يكن أبوها مهلا .. أنه دقة قديمة يهجم الأصل والفصل ..

ورفعت

انه ابن فلاح من كفر البطيخ هـ. وهو لم يحصل على شهادة  
جامعية .. ثم أن الكلام حوله بين رجال الأعمال كثير ليس كله  
كلاما مشرفا .. ولكن لا أحد يستطيع أن ينكر ماوصل اليه  
رفعت .. لقد أصبح ثاني أو ثالث رجل أعمال معروف في مصر ..  
وعائلته ارتفعت إلى أرقى المستويات .. لقد سعى لأخوته حتى أصبح  
كل منهم في مركز محترم بعد أن أتم تعليمه الجامعي .. وتدخل  
بنفسه في زواج اخوته البنات واختار لكل منهم زوجا محترما  
مشرفا .. وهو الآن يستطيع أن يشتري كل أراضي كفر البطيخ  
ويصبح الرجل المسيطر عليها كباشوات أيام زمان ولكنه لا يريد  
كفر البطيخ .. أنه يتجاهلها كأنه يشطبها من أصله وفصله .. المهم ..  
ان آمال هي التي أصرت على الزواج به .. ليس لأنها تحبه هذا  
النوع من الحب ولكن لأنها مقتنعة به .. حب اقتناع .. وآمال  
تعتمد على عقلها أكثر مما تعتمد على عواطفها ..

وهو يذكر أول مرة لمست فيها شفثيه شفثي آمال بعد اعلان  
الخطوبة .. كان نوعا من القبل جديدا عليه .. قبل هادئة حاملة  
تدوم متعتها فترة طويلة قبل أن تنتشر متعتها في باقي الجسد ..

وقد أنتقل من شفته في جاردن سيتي إلى هذه الشقة الرائعة  
الفخمة المظلة على النيل وان كان لا يزال محتفظا بشقة جاردن  
سيتي .. انه يتفاءل ويتبارك بها ولا يزال في حاجة إليها في بعض  
اللقاءات الخاصة .. وهو يذكر الحفل الذي أقامه في الشقة الجديدة ..



حفل الزواج .. لقد دعا اليه كل الشخصيات التي يعرفها وبينهم  
كثير من رجال الثورة والضباط الأحرار .. وذكر أنه خيل اليه  
ليلتها أن برعى محمود كان ينظر إلى العروس آمال وهو يصافحها  
كأنه يشفق عليها ويرثي لحالها .. وعندما صافحه كان ينظر اليه كأنه  
يلومه على اغتصاب هذه العروس ..  
ولكن الزواج نجح وحقق كل أمانيه ..

لم ينجح بسهولة فقد عانى منذ الأيام الأولى كثرة أسئلة آمال ..  
إنها تريد أن تعرف وتفهم كل شيء عن خصائص عمله بل وخصائص  
كل حياته .. لا يمكن .. إنها لن تعرف أبدا شيئا عن صداقته  
بالإنجليز .. أنها لا تعرف شيئا حتى اليوم .. هذا ما يجب أن يراعيه  
عميل مثله .. لا يعرف أحد عنه شيئا حتى ولو كان من أهله .. وآمال  
عاقله .. قوية على نفسها .. فكفت عن السؤال واقتنعت نفسها بأن  
يكون العمل له وحده وهي لها البيت والمجتمع .. بل أنه استطاع  
أيضاً أن يفرض ذوقه على آمال .. أصبحت هي الأخرى خاضعة  
للذوق الإنجليزي في كل ماتختره لبيتها وفي كل ما تضعه من نظم  
الحياة .. احترمت شاي الساعة الخامسة .. واقتنعت بنظام البتلر ..  
بل أنها كانت تسافر مع رفعت إلى لندن وتلتقي هناك بمجدولين  
وتطوف معها لشراء الذوق الإنجليزي .. لقد قال لها رفعت أن  
مجدولين كانت تذب فيه صباية .. لا يهم .. لم يتحرك في آمال  
شيء يغار على زوجها من ماضيه ..

إن زواجه من آمال حقق له كل ما يريده لنفسه ولعمله .. أنه  
يزهو ضد ما يرى الذين يعرفهم يحسدونه عليها ، وربما يحترمونها  
أكثر مما يحترمونه .. وهو الاحترام الذي كان يجذب كثيرا من  
قادة الثورة اليه لزيارته .. وأكثر من ذلك .. إن آمال استطاعت  
أن تجعل من أولادها الأربعة أولادا ليس فيهم شيئا من أصله  
وفصله .. وليس فيهم ما يؤثر عليهم من شخصية أبيهم .. إنهم  
كأولاد الأصول .. ليسوا من نسل فلاح من كفر البطيخ ولا أبناء  
عميل بريطاني ..

...

وقام رفعت لينام وذكرياته لا تزال معه كلها ..

إنه أخذ آمال من مجتمع برعى بك محمود وحقق بها منتهى  
النجاح .. وقد حاول في فترة مضت أن يأخذ منه شيئا آخر .. شيئا  
يغتصبه منه أو يشاركه فيه .. حاول أن يأخذ أمريكا ..

لماذا لا يكون هو الآخر من رجال أمريكا في مصر ..

وليس معنى ذلك أنه خطر على باله أن يتخلى عن بريطانيا ..  
أبدا .. إن بريطانيا هي بريطانيا مهما حل بها .. وقد كانت الصديقة  
الأولى التي فتحت أمامه كل هذا النجاح الذي حققه .. وسبق  
الصديقة دائما .. وكانت العلاقات أيامها وبعد الاعتداء قد قطعت ..  
أقفلت السفارة واحتجى صديقه مالو كولم .. ولكنه كلف بصداقة



بيرز السكرتير الأول بالسفارة السويسرية لبتلى منه معلوماته  
ويتولى بيرز ارسالها إلى لندن .. ان لندن لاتستطيع أن تتخلى عنه  
وعن خدماته ..

ولكنه كان يتمنى أن يصل إلى صداقة أمريكا أيضاً ..  
لماذا لا ..  
أنه لو جمع بين بريطانيا وأمريكا في شخصه لأصبح أقوى  
رجل في مصر ..

(٦)

كان رفعت البيومي يبذل كل جهده وكل ذكائه في التقرب  
إلى الشخصيات الأمريكية التي تقيم في مصر أو تمر بها .. سواء  
شخصيات العاملين في السفارة أم شخصيات رجال الأعمال  
الزائرين .. انه يريد أن يأخذ أمريكا من برعى محمود أو على الأقل  
يشاركه فيها .. ولكنه اكتشف أن الأمريكان رغم البساطة التي  
تبدو عليهم ورغم الضحكات والابتسامات التي لاتكف عن شفاههم  
والنظرات البريئة الساذجة في عيونهم ليسوا من الشخصيات السهلة  
ووراء مظهرهم البسيط عقليات حريصة معقدة لاتدرى كيف  
تفكر وإلى أين تتجه ..

وكان قد استغل اتصالاته الواسعة بحيث يكون موجودا في كل  
حفلة كبير أو صغير أو حفل عام أو خاص يجمع أي شخصية



أمريكية لها قيمتها .. وكان أى أمريكى يرحب بلقائه ويتلقى معرفته  
باحترام كبير .. ربما لأنه أصبح شخصية معروفة مشهورة .. احدى  
الشخصيات البارزة بين رجال الأعمال بصرف النظر عما تعرفه عنه  
بعض الأوساط من أنه صديق الانجليز الأول فى مصر .. ربما لهذا  
كانوا يرحبون ويحترمون لقاءه .. ولكنه كان دائماً لقاء له الطابع  
الرسمى العادى .. انهم لا يحاولون اكتسابه كما يحاول اكتسابهم ..  
لا يجرون وراءه كما يجرى وراءهم .. رغم أنه كان فى كل مناسبة  
يحاول أن يثير اهتمامهم بأن لديه معلومات كثيرة خطيرة .. معلومات  
قد لا يستطيع برعى محمود أن يحصل عليها .. ولكن لم يحاول أحد  
منهم أن يجرى وراء هذه المعلومات .. ويذكر مرة أنه التقى بمستر  
وليم بورنو مستشار السفارة الأمريكية .. انه يعلم عنه أنه ليس  
مستشار السفارة .. أنه ممثل المخابرات الأمريكية فى مصر .. أو  
ولم تكن أول مرة يلتقى به فيها فى حفل استقبال عام ولكنه أراد فى  
هذه المرة أن يكون أجراً اقداًما وأكثر صراحة فقال له فى لهجة  
طبيعية ومن خلال ابتسامته كما تفرض الأصول الدبلوماسية :

— أعتقد أن لدى موضوعات هامة يستحسن أن نناقشها معا ..  
هل تقبل دعوتى إلى تناول الشاى ؟

وقال وليم وهو يرد الابتسامة بابتسامة أوسع منها :

— أرحب ..

ولكنه كان فاتراً فى تحديد موعد هذا اللقاء .. لم يتم اللقاء الا  
بعد حوالى أسبوع أو عشرة أيام .. وقد استقبله فى بيته الجديد المطل  
على النيل والمؤسس بالذوق الانجليزى .. ولم يكن متحفظاً فى  
استقباله فاستقبال الأمريكان لا يثير نفس الضجة التى كان يثيرها  
استقبال الانجليز .. ثم انه كان قد أبلغ صديقه البكباشى عبدالله  
عبد الصبور ممثل مجلس قيادة الثورة بخبر هذه الزيارة قبل موعدها ..  
انه مطمئن ..

وقد خطط فى لقاءه مع المستشار الأمريكى أن ينقل اليه  
معلومات يعتقد أنها معلومات خطيرة حتى يكتسب حاجته إليه ..  
وقال له بعد أن ملأ عليه بنظرة تنطلق بالخوف من الخطأ :

— انى متأكد أن مصر تسير فى اتجاه جديد .. والعنصر الاساسى  
فى هذا الاتجاه هو الصداقة أو الاتصالات السرية التى بدأت بين  
عبد الناصر من جهة ونهرو الهندى وتيتو اليوغوسلافى من الجهة  
الأخرى ..

ولم يفاجأ وليم بهذا الخبر الخطير وقال فى بساطة :

— نحن نعرف ..

وقال رفعت فى غيظ :

— لا يمكن أن تكونوا قد عرفتم كل شىء ووصلتكم كل  
التفاصيل ..



وأخذ يروى تفاصيل كثيرة .. بعضها وصلته فعلا عن طريق  
مصادره وبعضها ابتكرها بخياله السياسى الذى يثق أنه دائما خيال  
واقعى .. ولكن ولیم مستمر فى بروده ويهز رأسه بين الحين والحين  
مرددا :

— نحن نعرف ..

وانتهت الزيارة بسرعة وانصرف ولیم وهو حريص على كل  
المظاهر الرسمية .. مظاهر الصداقة الكاذبة والاحترام الكاذب ..  
لماذا يتعامل الأمريكان بهذا البرود والفتور .. هل هم مكتفين  
بصداقة برعى محمود إلى حد أنهم لا يشعرون بحاجتهم إلى أى صديق  
آخر .. ولكن الدول لاتعتمد أبدا على صديق واحد .. ربما كان  
السبب هو أنهم يعرفون أنه صديق للانجليز ويمدهم منذ زمن طويل  
بكل ما لديه من معلومات .. حتى المعلومات التى كان قد أبلغها  
لويلم خلال زيارته كان قد سبق أن أبلغها للانجليز عن طريق صديقه  
الحديد بيرنز سكرتير أول السفارة السويسرية .. وهو يعرف أن  
مركز المخابرات البريطانية على اتصال بمركز المخابرات الأمريكية  
ويتبادلان المعلومات التى تهتم كل منهما .. ان الأمريكان يتلقون  
معلومات عن طريق الانجليز ولا حاجة لهم لاقامة اتصال مباشر  
بهم .. ليسوا فى حاجة إلى الارتباط به ويكفى ارتباطه بالانجليز ..

ورغم كل هذه الحواطر التى تلح عليه باليأس من الأمريكان ..  
الا أنه لا يكف عن المحاولة .. وقد قرر أن يجرب خطوة أخرى

يحاول بها أن يزوج بشخصيته بين الأمريكان .. لقد أصبح لديه الآن  
كثير من الأمريكان ان لم يكونوا أصدقاء فهم معارف .. ويريد أن  
يجرب قيمته ومدى هذه المعرفة .. فتقدم بصفقة تربطه بأمرىكا ..  
صفقة صغيرة لاتخرج عن استيراد كاوتشوك للسيارات .. ان  
العمليات التجارية تساعد على فتح الأبواب أمام العمليات السياسية ..  
ورغم كل الاتصالات التى قام بها مع معارفه الأمريكان فان الصفقة  
ظلت تسير فى الروتين العادى كأى صفقة يقوم بها أى مستورد  
عادى .. ليس له لدى الأمريكان قيمة خاصة أو مركزا خاصا ..  
لن تكون صفقة بالنسبة له .. انها مجرد عملية تجارية عادية لن يكسب  
منها المكسب الضخم الذى تعودده لابلصفته من رجال الأعمال بل  
بصفته صديق .. صفقة ليست كالصفقات التى يعقدها مع  
الانجليز .. انه حتى اليوم يكفى أن يرسل برقية واحدة إلى لندن  
فتتم الصفقة وتصل البضاعة كأنها هدية .. كأنها أتعاب يستحقها  
للجهد الذى يبذله تأكيداً لصداقته ..

وفى هذه الأثناء كانت الأزمة تشتد بين قيادة الثورة وواشنطن ..  
أزمة حاجة مصر إلى السلاح الأمريكى .. ولاشك أن برعى محمود  
رجل أمرىكا الأول يتحمل العبء الأكبر فى حل هذه الأزمة ..  
أنه يلتقى كل يوم بالقيادات كأنه أصبح عضوا فى مجلس القيادة ..  
ولكن صفقة الأسلحة التى حاول برعى أن يحققها بين مصر وأمرىكا  
قبل الثورة وأفسدها عليه لم تعد تصلح بعد الثورة .. ان الثورة تريد



أنواعا من الأسلحة لا يمكن أن تعطى لها أمريكا حرصا على مسئوليتها  
عن إسرائيل .. وبرعى لا يمكن أن يؤثر في موقف أمريكا من  
إسرائيل ..

وخلال اشتداد هذه الأزمة وصلت إلى رفعت معلومات أنه  
جاء إلى مصر مستر مايكل ستيوارت .. أنه أحد الشخصيات  
الرئيسية الهامة في المخابرات الأمريكية وقد جاء بصفة غير رسمية ..  
جاء كمجرد سائح ليتفرج على الأهرامات وأبو الهول .. ولكنه  
قطعا جاء لينبش أسرار أزمة السلاح .. وربما ليدرس احتفالات  
قيام انقلاب في مصر يريخهم من عناد وغرور عبدالناصر .. وآه لو  
استطاع رفعت أن يقابله .. لعله من خلاله يستطيع أن يكسب  
أمريكا كلها .. وقام باتصالات سريعة استطاع بها أن يقابل مايكل  
ستيوارت ..

أنه شخصية تتميز عن الشخصيات الأخرى التي سبق أن  
قابلها .. أنه يستمع للمعلومات بطريقة تدفع إلى إعطائه مزيدا من  
المعلومات .. وهو يسأل كثيرا حتى عن التفاصيل الدقيقة التفاهة ..  
واستراح له رفعت .. أحس كأن أمريكا بدأت تعترف به كشخصية  
هامة تحتاج إلى صداقتها .. إلى أن قال له رفعت متآمدا في تقديم  
خدماته :

— انى مستعد أن أدبر لك لقاء مع أحد الضباط القريبين من  
مجلس قيادة الثورة .. وأنصحك أن تقدم على هذا اللقاء ..

وقال مايكل مرحبا :

— أرجوك .. انها خدمة لا أنساها ..

ودبر له رفعت لقاء مع صديقه عبدالله عبدالصبور .. ولم  
يشترك رفعت في هذا اللقاء .. لم يدعه صديقه عبدالله للاشتراك  
فيه .. ولكنه عرف التفاصيل .. أنه لقاء أستمروا ساعتين ثم قام  
عبدالله وصاحب مايكل للقاء عبدالناصر ذاته .. واستمر اللقاء  
بعبدالناصر أكثر من ساعة .. وطبعاً لم ينته اللقاء على الوصول إلى  
حل الأزمة ولكنه انتهى إلى إثارة أمل كبير في حلها .. قد تقبل  
أمريكا امداد مصر بالسلاح .. والفضل لرفعت .. أنه هو الذي دبر  
الخطوة التي فتحت الطريق .. وقد اتصل به مايكل ستيوارت في  
التليفون قبل سفره عائدا إلى وطنه ليشكره .. وسأله رفعت من  
خلال فرحته وغروره بذكائه كيف يستطيع أن يتصل به في  
واشنطن .. وأعطاه مايكل وسيلة الاتصال به وإن كان رفعت قد  
كشف وهو يسجلها أنها وسيلة لا توفر الاتصال بمايكل شخصيا  
ولكن الاتصال بمكتب يستطيع أن يصل إليه من خلاله .. لا يهم ..  
إن الإدارة الأمريكية معقدة بالروتين حتى في مثل هذه الاتصالات ..

ولم يمض يومان وكان رفعت مدعوا إلى حفل دخل إليه وهو  
مزهوا بينه وبين نفسه بعبقريته وذكائه بعد ما حققه من انتصار في  
تحقيق اكتساب صداقة أمريكا .. ورأى في الحفل برعى محمود ولم  
يتألك احساسه بالشهامة فيه .. لقد حقق أكبر نصر بتدبير لقاء



سريا بين عبدالناصر وأمريكا .. وربما أطلت هذه الشماعة من عينيه  
فاقترب منه برعى محمود وصافحه في حرارة وشدة بعيدا عن  
الناس وقال له من خلال ابتسامة تبدو كأنه كليشيه باهت بين  
شفتيه :

— انى معجب بك وبنشاطك .. استمر فى هذا النشاط ..

وقال رفعت وهو يحاول أن يبدو متعاليا :

— أى نشاط ؟ !

وقال برعى من تحت كليشيه ابتسامته :

— نشاطك مع مايكل ستيوارت وتدبير لقاء مع عبدالله  
عبدالصبور الذى أنهى بلقاء عبدالناصر ..

وابتلع رفعت ريقه كأنه يبتلع صدمة وقال فى صوت  
مرتعش :

— ان كل منا يقدم ما يستطيعه من نشاط فى خدمة بلده ..

ثم ابتعد بسرعة عن برعى محمود ..

لم يكن ينتظر أن يكون على علم بكل ما حدث .. أنها معلومات  
سرية وفى أعلى درجات السرية .. من أين وصل إلى هذه المعلومات ..  
هل وصل إليها عن طريق عبدالله عبدالصبور ؟ .. لا يمكن .. ان  
عبدالله يكرهه بل يعتبره من أعداء الثورة .. ولا يمكن أن يكون قد  
حصل على هذه الأسرار من جمال عبدالناصر .. ان المعروف عن

عبدالناصر أنه لا يقول شيئا ولا لأقرب الناس اليه الا إذا كان مضطرا  
إلى قوله .. وهو ليس مضطرا لأن يقول لبرعى شيئا .. لاشك أن  
برعى حصل على هذه المعلومات من الجانب الأمريكى .. لعل  
أمريكا لا تستطيع أن تتحرك فى مصر الا عن طريق برعى أو  
باستشارته .. ويجب أن يكون على علم بكل شيء حتى يقدم الرأى  
والنصيحة كمستشار ..

كأن رفعت كان يعمل مع برعى لا مع أمريكا .. كأنه لن  
يستطيع أبدا أن يقفز فوق برعى ليصل إلى أمريكا ..  
لايهم ..

أنه لن يخسر شيئا بمحاولة اكتساب أمريكا متحديا برعى  
محتفظا دائما بالاعتماد على الانجليز ..

وأزمة الأسلحة لن تحل .. لم يستطع مايكل ستيوارت أن  
يعدل من موقف أمريكا ولعله كان يخدع عبدالناصر ويخدع عبدالله  
عبدالصبور ويخدعه لجرد أن يخرج من خداعه بأسرار جديدة عن  
تخطيط الثورة .. إلى أن سافر جمال عبدالناصر إلى باندونج وقد قرر  
أن يخطو الخطوة الحاسمة .. ستفتح مصر الباب أمام الاتحاد السوفيتى ..  
وقد بذل رفعت كل نشاطه ليجمع أخبار هذه الخطوة الحاسمة ..  
اتصل بأرقى المستويات وبالمستويات العادية .. بكل من كان مع  
عبدالناصر فى باندونج .. ثم بأصدقائه فى سفارة الهند ويوغوسلافيا  
وهو متأكد من تأثير نهرو وتيتو على عبدالناصر وقد كانا معه فى



باندونج .. ثم عرف أن الذى أقنع عبدالناصر بالاتحاد السوفيتى هو شوين لاي الزعيم الصينى فاستطاع بسرعة أن يقيم اتصالات مع سفارة الصين ويستزید من المعلومات .. ويتتسم رفعت وهو يستعيد ذكرياته .. ان شوين لاي دفع مصر الى الاتحاد السوفيتى عندما كانت الصين متحالفة معها وهو لا يدري أنه بعد ثلاثة أعوام سيعلن الحرب على الاتحاد السوفيتى ..

وقد أصبح لدى رفعت زخيرة هائلة من المعلومات وفى وقت أصبح الوضع العالمى كله على وشك الانهيار بالنسبة لمصر .. من الأفضل أن يسافر الى لندن لتوصيل هذه المعلومات بنفسه .. لماذا لا يسافر الى واشنطن أيضا لابلاغ معلوماته .. انها معلومات تفرح بها واشنطن وتطير من الفرح .. وربما استطاع فى واشنطن وبفضل المعلومات التى يقدمها أن يحقق صفقة .. أنه يحلم بأن يحقق أول صفقه تجارية له مع واشنطن ..

وسافر الى جنيف فى سويسرا أولا .. فالعلاقات مقطوعة بين مصر وبريطانيا ويجب أن يكون أكثر احتراسا ولا يبدأ سفره بلندن .. وفى لندن أعطى الكثير من المعلومات ولكنه احتفظ بجزء منها لأمريكا .. انه يريد أن يقنع الأمريكان بأنهم يستطيعون أن يأخذوا منه شخصا أكثر مما يأخذونه منه عن طريق الانجليز .. ومن لندن اتصل تليفونيا بواشنطن لتحديد موعد للقاء مايكل

ستيوارت .. لم يكن تحديد الموعد سهلا .. وكان موعدا غريبا .. انهم يطلبون منه أن يصل الى واشنطن .. وسيتصلون به فى الفندق الذى يقيم فيه لتحديد موعد ومكان اللقاء .. لعله نفس الروتين المعقد المعروف عن الادارة الأمريكية ..

وبقى رفعت فى واشنطن حوالى أربعة أيام وهو فى انتظار من يتصل به بالتليفون .. وعندما تحدد الموعد لم يكن حفلا يقيمه له مايكل ستيوارت .. ولا دعوة إلى الشاي فى بيته أو على الأقل فى مكتبه .. بل كان موعدا فى بهو أحد الفنادق البعيدة .. واستقبله مايكل فى برود .. كأنه نسى فضله فى تدبير لقاء له مع عبدالناصر .. أو أن لقاء عبدالناصر لم يكن له كل هذه الأهمية التى كان يقدرها .. وبدأ رفعت يسرد معلوماته ومايكل يستمع وهو يردد كلمة .. مفهوم .. مفهوم .. دون أن تبدو عليه دهشة أو انزعاج أو فرحه أو أى احساس .. وقال رفعت كأنه يحاول أن يثيره :

— انى أخشى أن تكون أمريكا على وشك أن تخسر مصر ..

وضحك مايكل ضحكة ساخرة قائلا :

— لماذا لا تقول ان مصر هى التى تخسر أمريكا .. وتأكد أننا حسبنا حساب كل شيء ..

ثم قام مايكل واقفا مستطردا :

— آسف يجب أن أذهب .. ورأى أعمال مفضية .. شرفتنا فى واشنطن ..



وهكذا انتهى اللقاء ..

لم يبد أن مايكل كان مرحبا بالمعلومات التي قدمها له .. ولم يطلب منه لقاء ثانيا ولم يكلفه بأى خدمة يقدمها لأمريكا .. بل يبدو أن مايكل لم يقابله الا كنوع من أداء مظاهر الواجب .. أنها خيبة كبيرة .. سافر رفعت حتى واشنطن ولم يعد الا بالخيبة ..

انه لم يصل إلى شيء مع أمريكا الا إذا أراح برعى محمود عن طريقه .. أراحه من مصر كلها ..

ولكن وهو في طريق عودته بدأ فكرة جديدة تطرأ على تفكيره .. ان أمريكا في طريقها إلى الزوح عن مصر وسيحل محلها قطعاً الاتحاد السوفيتي .. ان العالم كله اما أن يعتمد على أمريكا أو على الاتحاد السوفيتي .. فلماذا لا يتحول هو الآخر .. يتحول من أمريكا إلى الاتحاد السوفيتي .. ويجب أن يبدأ من الآن قبل أن يستكمل الاتحاد السوفيتي وجوده في مصر حتى لا يبدو كأنه من بين قطع الأغنام ..

وأقام وهو في طريقه إلى مصر بضعة أيام في لندن .. أنه مهما تجاذبته الأفكار ستبقى لندن دائماً هي الأصل .. هي الحسب والنسب لمصر كلها ..

وابتسم رفعت ابتسامة واسعة وهو يتذكر أيامه مع الاتحاد السوفيتي .. ابتسامة تنبض بغروره واعتزازه بنفسه وبذكائه .. أنه

العبقري رفعت البيومي .. وكانت قد بدأت معركة جديدة داخل مصر .. معركة الأصدقاء كما كانت المعركة بين أمريكا وبريطانيا .. انها معركة صريحة عنيفة بين عدوين للدودين .. معركة أمريكا والاتحاد السوفيتي .. ويجب أن يحدد موقفه من هذه المعركة .. والعبقري لا ينحاز في أى معركة إلى جانب وبعادى جانب .. إنما يكسب صداقة القوى محتفظاً بثقة الضعيف ..

ولاشك أن الاتحاد السوفيتي أصبح الآن هو القوة في مصر .. وهو في حاجة إلى اكتساب هذه القوة ولكن في الوقت نفسه يجب ألا يضحى بصداقة لندن أو يعرض هذه الصداقة للشك الذي قد ينتهي بفقدان الثقة .. ويجب في الوقت نفسه أن يحتفظ باقتناع أمريكا بأنه رجل الانجليز وأنه لم يتحول إلى الجانب الآخر ويصبح رجل السوفيت .. أن رجل الانجليز تعتبره أمريكا رجلاً أما رجل السوفيت فهو عدوها .. ومن يدري ما ستكون عليه نهاية هذه المعركة .. ربما تعود أمريكا وتسترد كل قواها في مصر .. يجب أن يحترس ويحسب حسابه .. هذه هي شيمة العباقر ..

ولم يكن قد سبق له التعامل مع الاتحاد السوفيتي في أى صورة من الصور ولا في أى ناحية من نواحي التعامل .. أنه لا يفهم عرفهم ويجب أن يبذل مجهوداً في اكتشاف طبيعتهم وتفاصيل الأسس التي يجب أن يعتمد عليها للوصول إلى التعامل معهم .. وكانت طائفة



جديدة قد بدأت تطفوا على سطح مصر .. سطح الحكم .. طائفة الشيوعيون الماركسيون .. وهو لم يكن أبدا يخارب الماركسية حربا صريحة عتيقة .. إنما فقط كان ينجحها بعيدا عن اهتمامه .. وكان من بين معارفه من شبان ورجال الحركة الوطنية نفر قليل يعرف أنهم ينتمو إلى تنظيمات ماركسية .. لقد كان الماركسيون يدرسون أنفسهم ويتسللون إلى داخل كل حركة وطنية مهما كان لونها أو اتجاهها .. ولكنه لم يكن يهتم هؤلاء الماركسيين أو يقربهم إليه .. كان يكتفى بأن يتبادل معهم الكلمات الطنانة المعروفة .. كانوا في نظره ضعفاء لا يساوون شيئا في التأثير على الحكم .. ولكنهم اليوم أصبحوا أقوياء .. أصبحوا القوة الوحيدة المسيطرة على تصريح الأمور داخل مصر وكثير من أفرادهم وصلوا فجأة إلى مناصب تحملهم مسئولية الحكم ..

واستطاع بسرعة أن يقرب أصدقاءه الماركسيين القدامى وأن يصل من خلالهم إلى أصدقاء جدد خصوصا إلى القيادات الماركسية التي بدأت تشترك في الحكم ، ولكنه وصل إلى التعارف ببعض رجال السفارة السوفيتية في مصر .. والسفارة التشيكية .. والسفارة الرومانية .. وسفارة ألمانيا الشرقية .. و .. و .. وكل سفارات الجبهة الشرقية .. وقد وصل ببعض هذه الصداقات إلى صداقات شخصية بعيدة عن الرسميات .. أنهم يحبون الدعوة إلى الجلسات

الساخرة وكان مما أدهشه أنهم يفضلون شرب الويسكي على شرب الفودكا ، وأكل السوسيس على أكل الكافيار .. غريبة ..

ولم يحاول أن يقدم نفسه إلى أصدقائه الجدد في هذه الفترة كمصدر معلومات يمكن أن يتعاملوا معه ويعتمدوا عليه .. إنما كان حريصا على أن يقدم نفسه ويعرفونه كرجل أعمال من كبار رجال الأعمال في مصر المقربين إلى الحكام .. كما لم يحاول أن يتقرب إليهم بادعاء إيمانه ولا حتى تأييده للمذهب الماركسي .. أنه ليس ماركسيا ولا هو ضد الماركسية .. إنه رجل أعمال لا يضيع وقته وجهده في مناقشة المذاهب .. وبصراحة .. ليس له مذهب .. أنه فقط صاحب مصالح .. وقد اكتشف أن الروس وكل من في دائرتهم يرتاحون أكثر في اجراء العمليات التجارية البعيدة عن السياسة من غير الماركسيين .. وأغلب الذين يتولون عمليات التصدير والاستيراد بين مصر ودول الاتحاد السوفيتي ليسو من الماركسيين أو من أفراد التنظيمات الماركسية .. أن مهمة هؤلاء قاصرة على التحركات السياسية .. أما العمليات التجارية والاقتصادية فإن الروس يريدون أن يرتاحوا في أدائها من المناقشات والشعارات المذهبية حتى يكونون أكثر حرية فيكسبوا أكثر .. وحتى في تخطيط التحركات السوفيتية داخل دول العالم لا يحرص السوفيت اعتمادهم على قادة أو زعماء ماركسيين .. ان جمال عبدالناصر لم يكن ماركسيا رغم أنه كان اليد الأولى التي اعتدت وشدهم إلى داخل



دنيا العرب .. وحافظ الأسد حاكم سوريا ليس ماركسيا ولا مع  
معمار القذافي حاكم ليبيا ، ولانهر و حاكم الهند الذي فتح امامهم  
أبوابه السياسية .. وبالعكس .. كانت أعنف حرب سياسية خاضتها  
روسيا مع دولة صغيرة حربا مع قائد ماركسي .. مع تيتو الرئيس  
اليوغوسلافي .. لذلك كله فلاهم رفعت البيومي أن يدعى الماركسيه  
حتى يكسب صداقة السوفيت .. ان كل ما يهم موسكو هو ماذا  
تأخذ وماذا تعطى ..

و كان المشروع الأول الذي وضعته للتعامل مع الاتحاد السوفيتي  
مشروعا غريبا ..

انه لن يصدر من مصر ويستورد من الاتحاد السوفيتي مباشرة ..  
ولكنه يصدر من إنجلترا إلى الاتحاد السوفيتي ، ثم يصدر الاتحاد  
السوفيتي إلى مصر .. انها عملية لا يقوم بها إلا عباقرة رجال الأعمال  
الذين يستوردون بعملياتهم العالم كله ..

وربما كان ما دفعه إلى تخطيط هذه العملية هو رغبته في  
الهروب من التعامل بحساب الروبل .. أنه لا يعترف بهذه العملة رغم  
كل عظمة الاتحاد السوفيتي .. بل أنه اكتشف أن الروس يفضلون  
أن تقوم كل عملياتهم الخارجية بحساب الدولار .. أنهم لا يستطيعون  
أن يهربوا أو يتعالوا على قوة عملة العدو .. قوة الدولار .. وهذه  
العملية ستعفيه من شراء الدولار .. ولكنه ربما كان يريد في الوقت  
نفسه أن ينفي عن نفسه شبهة الانتقال إلى الجانب الآخر من المعركة

الدائرة داخل مصر .. الجانب السوفيتي .. أنه يعلن اعتماده على  
صداقة الانجليز ، ويشترك مع الشعب الانجليزي في تصدير منتجاته  
إلى الخارج ..

و كانت العملية التي خطط لها عملية صغيرة يجرب بها ما يمكن  
أن يتسع لها المستقبل .. كانت عملية تقوم على تصدير شحنات من  
الشيكولاته من لندن إلى موسكو نظير تصدير شحنات من الأقشة  
القطنية إلى القاهرة .. ويمكن أن تقبل موسكو استيراد الشيكولاته ..  
ان الحكم الماركسي لا يخل على الشعب الروسي متعة تذوق  
الشيكولاته المودرن الراقية بجانب الشيكولاته المحلية .. هذه العملية  
كلفته من المتاعب أكثر مما كلفته أكبر عملية قام بها في حياته ..  
ان الروتين الروسي أعنف تعقيدا من الروتين المتبع في أى بلد من  
بلاد العالم .. والعمليات لا تتم الا من خلال سراديب تحتية ولا يمكن  
أن تسير بها في شوارع مفتوحة مريحة .. وكان لا يمكن أن تتم  
العملية عن طريق اتصالاته بالسفارة السوفيتية في القاهرة ، ولا  
بسفارتهم في لندن ، واضطر أن يسافر إلى موسكو .. لقد كان  
يريد السفر إلى موسكو لعله يستطيع أن يتعارف هناك بشخصيات  
لها قيمة يقيم معها علاقات على مجال أوسع .. وقد سافر كرجل من  
رجال الأعمال .. لا كصديق من أصدقاء نقل المعلومات .. مجرد  
رجل أعمال في عمل .. وقد استقبل هناك بترحاب كبير من كل من  
كان العمل يتيح له لقاءهم .. وربما كان هذا الترحاب لأنه معروف



عنه أنه مقرب لرجال القيادة في مصر .. وربما كانت هذه هي طبيعة المسؤولين الروس .. طبيعة شرقية في المبالغة بالترحيب .. خصوصا الترحيب بعمليات اقتصادية .. وقد استطاع أن يستغل هذا الترحاب في التعرف بشخصيات مسئولة بل استطاع أن يصل إلى لقاء الوزير المختص ، ولكنه وجد نفسه حائرا في تحديد قيمة مسئولية كل من يقابله ومدى نفوذه وسيطرته ونوع اختصاصه .. أنك في روسيا تحس أنهم كلهم مسئولين أصحاب نفوذ وسيطرة وفي الوقت نفسه تحس أن ليس بينهم من يعتبر مسئولا أو صاحب نفوذ وسيطرة ..

شيء آخر اكتشفه في تعامله الأول مع الاتحاد السوفيتي .. وهو أنه يجب أن يدفع .. أن يدفع لمن يحملون أو يوقعون الأوراق .. وهو قد تعود الدفع .. العمليات كلها في كل العالم تفرض عليك أن تدفع بعيداً عن تحديد الأسعار .. ولكن الدفع في التعامل مع الدول الأخرى سهل .. بسيط .. صريح .. أنك تدفع عمولة مقرررة شرعا بحكم القانون .. ولكن القانون في الاتحاد السوفيتي يحرم العمولة .. لا يبيح الدفع لمن يحمل الأوراق .. ان الدفع يعتبر جريمة .. رشوة .. ورغم ذلك اكتشف أنه يجب أن يدفع داخل السرايب التحتية .. حتى في موسكو اضطر أن يدفع وإن كان أكثر ما يدفعه يقدمه في شكل هدايا .. وكان بعضها هدايا ساذجة ولكنها تفرح من يقدمها اليه ولو كانت مجرد مجموعة من اللبان

التشككتس الأمريكي أو بضعة غلب من بحائر مارلبورو .. أنها أشياء يشتاقيها ويحلم بها الناس هناك .. ورغم أن قيمة ما تعود أن يدفعه أقل من قيمة العملات التي يدفعها في الدول الأخرى التي تعتبر دولاً رأسمالية ، ولكن وسيلة الدفع كانت دائما متعبة تهدده بالخطر ، حتى أنه مع استمرار تعامله مع الاتحاد السوفيتي تسبب في تغيير طاقم السفارة الروسية في مصر مرتين لانها مبهمة بأنهم أخذوا منه عملات .. رشوا .. وقد استغرقت العملية الأولى التي قام بها أكثر من ستة شهور متعبة منهكة ولكنه تحملها بصبر لأنه كان يريد أن يخطو الخطوة الأولى في اكتساب صداقة الاتحاد السوفيتي ..

وقد كسبها واستمرت الخطوات ..

...

ودخلت عليه زوجته آمال وهي في ثوب النوم وقالت من خلال ابتسامتها الحلوة المحترمة :

— ماذا جرى لك .. هذه ثان ليلة تنفرد فيها وحدك صامتا إلى ما بعد منتصف الليل ..

وقال ضاحكا :

— أنى لست صامتا .. انى أعيش في حديث طويل مع ذكرياتي .. وأنت تعلمين إنى أمر بظروف تتركني متفرغا







بالمرمر فلم تكن من بين تنظيم الشقة عندما استأجرها .. ان الحمام  
الذى تستحم فيه ملكة انجلترا فى قصر بكنجهام ملحق به مثل هذه  
الحجرة .. ومن كان يصدق أن يكون له حلاقا خاصا يأتيه كل  
صباح وكل مساء ليشذب ذقنه وشعره .. إنه يدفع لهذا الحلاق  
أتعابا تصل إلى حوالى مائة جنيه فى الشهر .. من كان يصدق .. أنه  
عندما كان طفلا فى كفر البطيخ لم يكن يلمسه مقص حلاق الا كل  
شهر مرة أو كل شهرين ولا يتقاضى أتعابا سوى قرش واحد ..  
يذكر أنه كان قرش تعريفة .. نصف قرش .. وقد ارتقى بعد أن  
انتقل إلى القاهرة وعاش فى المدارس وأصبح يدفع للحلاق قرشا  
كاملا .. ثم قرشين .. ثم ثلاثة قروش .. ولم يكن يتخيل أنه سيأتى  
عليه اليوم الذى يدفع فيه للحلاق مائة جنيه فى الشهر .. ويدفع  
بارادته ومزاجه .. يدفع استكمالا للعظمة التى وصل إليها .. إن  
المثل الشعبى يقول « أفحت الأرض تنتج بطيخ » ولكن ذكائه كان  
أوسع فهاجر من كفر البطيخ وفحت فى أرض أخرى فانتج  
الملايين .. إنه مليونير ..

و كان رفعت فى جلسته متكاسلا لا يتعجل الحلاق ولا رئيس  
الخدم فى الانتباه من اعداده ليخرج إلى العمل كما كانت عادته ..  
أنه هائم مع ذكرياته .. والذكريات يتمتع بها حتى أن متعته تحرمه  
أيضا من النوم .. ان أغلى ما بنى لديه هو الذكريات ..

وهو يذكر أنه بعد الثورة يعتمد أن يخفى كل مظاهر العز  
التى وصل إليها .. حتى أنه كان يعتمد اختيار البدل وأربطة العنق  
المواضعة ليبدو بها أمام طبقة الحكام الجدد .. وركن السيارة  
المرسيدس التى كانت تحمله فى شوارع القاهرة وأصبح يركب  
سيارة بيجو عادية رغم أن السيارة التى لا يزال يحتفظ بها فى لندن  
ويتنقل بها فى شوارعها سيارة من ماركة رولز رويس .. سيارة  
أصحاب الملايين .. أن رجال الثورة غلبة يحقدون على أصحاب  
الملايين وهو لا يريد أن يصيبه حقدهم .. بل كان عندما يدعو  
بعضهم إلى بيته بأمر رئيس الخدم بأن يخفى فى المطبخ ويقوم السفرجى  
وحده بالخدمة .. كل البيوت يقوم على خدمتها سفرجية .. ولكنه  
احتفظ بكل مظاهر العز والفخامة لنفسه فى حياته الخاصة داخل  
بيته .. انه لا يستطيع أن يحرم نفسه من متعة العظمة التى وصل إليها ..  
عظمة اللوردات .. ولو اضطر أن يخفى هذه المتعة بعيدا عن التفاخر  
بها أمام الناس ..

وقد استطاع بذلك أن يكسب صداقة رجال الثورة .. الصداقة  
الشخصية والثقة المطلقة .. وطبعاً لم يكن اختيار المظهر هو الأساس  
الذى وصل به إلى هذا الكسب .. ولكنها الخدمات .. أثبت أن  
الثورة كلها تستطيع أن تعتمد عليه فى تقديم هذا النوع من  
الخدمات .. حتى أصبح يعتبر فى مجاله الرجل الأول للثورة خصوصا  
بعد أن استطاع أن يقضى على غربته رجل أمريكا الأول فى مصر  
برعى محمود ..



كيف استطاع أن يقضى على برعى ؟

كانت الأزمة قد اشتدت بين مصر وأمريكا حتى وصلت إلى أن أصبحت أمريكا وكأنها تخلت عن مصر وقطعت كل علاقة لها بها ، وتركتها كسبا كاملا للاتحاد السوفيتي .. وبدأت قيادة الثورة تبعد كل أصدقاء أمريكا أو كل من له علاقة بها حتى لو كان مجرد رأسماليا صغيرا صاحب ورشة أو محل بقالة .. يكفي أن يكون رأسماليا ليكون مرتبطا بأمريكا .. ولكن برعى محمود كان له وضع آخر .. كانت الثورة تعلم أنه أمريكي واتفقت معه على أن يعمل لحسابها مع أمريكا .. أى أنه لم يكن عميلا أو جاسوسا يعمل تحت الأرض بل كان صديقا لكلا الطرفين .. بل أنه عندما اشتدت الأزمات كان يبذل مجهودا أثر في محاولة خدمة الثورة .. ربما ليس بدافع الوطنية وحدها أو إيمانا بالثورة وحبا في رجالها ولكن لأن بقاء أمريكا في مصر بقاء له وضمان لأطماعه .. ثم أنه لاشك حقق كثيرا من الخدمات التي كانت تطلبها منه الثورة .. لعله كان له فضل في تحديد موقف أمريكا الذي أدى إلى انسحاب القوات المعتدية عام ٥٦ .. ثم أن الثورة يمكن أن تفضل الاحتفاظ به سليما بعد أن انقطعت العلاقات مع أمريكا .. أنه لم يكن له دخل في هذه القطيعة ولم يكن يتمناها .. إنما هي نتيجة مباشرة للخط الذي اختارته الثورة .. ثم لعل الثورة تحتاج إليه لأن احتياج مصر لأمريكا لا يمكن أن ينتهي نهائيا ..

لذلك لم تقدم الثورة على التفكير في القضاء على برعى محمود رغم كل الاجراءات التي اتخذتها في ابعاد أصدقاء أمريكا .. لم يعد مقربا .. ولكنه ظل محتفظ بحريته وبقدرته على التحرك ومزاولة نشاطه كرجل أعمال .. بل انه كان لا يزال مستمرا في عمليات الاستيراد من أمريكا .. ولو كان لم يعد يستطيع أحد استيراد المواد الاستهلاكية البسيطة لم تعد هناك مشروعات كبيرة تخص الدولة يمكن أن يتولاها ..

ولكن

ولكن برعى محمود لا يزال خطرا على رفعت البيومي .. ومن يدري .. قد يستطيع في مرحلة قادمة أن يعود بأمريكا إلى مصر .. أنه خطر حتى لمجرد احتفاظه بقيمته وتقدير أهميته ..

وفكر رفعت البيومي وهدته عبقريته إلى لحن جديد بدأ يعزفه في كل مكان .. اننا لانستطيع أن ننقم من أمريكا الا بالقضاء على رجلها الأول برعى محمود .. وكان يردد هذا اللحن مع كل من يجلس اليه من رجال القيادة ويردده ضاحكا كأنه يلقي بنكتة حتى يبدو وكأنه لا يقصد التخلص من برعى بدافع حقده عليه إنما هو يقصد فقط الانتقام من أمريكا .. اننا إذا كنا نريد جلاء أمريكا فلن يتم جلاؤها عن البلاد العربية كلها الا بجلاء برعى محمود عنا .. ومضت شهور طويلة بلغت الأعوام وبرعى محمود لا يزال محتفظا بحريته وأهميته .. بل انه عرف أن القيادة بدأت تعاود الاتصال به



سرا وتكلفه بالاتصال بأمريكا للوصول إلى معاملات لاتزال مصر في حاجة إليها ولتصفية بعض المشاكل التي لاتزال قائمة .. ولاشك أن مهمة برعى في هذه الأيام كانت صعبة فإن الإدارة الأمريكية كانت قد فقدت ثقها في جمال عبدالناصر ولم تعد تقبل أى تعامل مع مصر الا إذا سقط عبدالناصر واختفى من مصر .. وقد عجز برعى عن اقناع الادارة الأمريكية بتعديل موقفها واثارة الأمل في أن يعتدل عبدالناصر في موقفه منها .. أنه ليس مر كسيا .. ثم فجأة وبعد كل هذه الشهور .. وبعد أن كان رفعت البيومى نفسه قد فقد الأمل .. وأعلن فرض الحراسة على برعى محمود .. كل شىء بملكه أو يتبعه مدت الحكومة مئأصابعها اليه واستولت عليه .. واحتل رجال المخابرات مكتبه وفتحوا أدراجة .. ولم ينقضى يومين حتى قبض على برعى وقدم إلى المحاكمة .. هذه المحاكمات التي كانت تتم في سراديب إدارة المخابرات .. محاكمات القصد منها استكمال الشكل ونتائجها معروفة مقدما .. وقد وصلت إلى رفعت تفاصيل هذه المحاكمات .. لقد واجهوه بتسجيلات عن كل المحادثات التي كانت تدور بينه وبين أصدقائه الأمريكان .. وبينهم المحقق .. لقد كنت تطلب من الأمريكان كذا وكذا .. ويرد برعى في هدوء قائلا .. لقد كنت أطلب ما تطلبه القيادة من الأمريكان وبناء على تعليماتها .. ويعود المحقق إليهم .. ان الأمريكان كانوا يقولون لك كذا وكذا .. ويرد برعى .. كل كلمة كنت أسمعها من الأمريكان كنت أنقلها إلى القيادة ..

ولكن التسجيلات بدأت تروى حكاية اتفاق بين برعى والأمريكان على أحداث انقلاب في مصر يطيح بجمال عبدالناصر .. وصاح برعى وهو يسمع صوته مسجلا .. لم أقل هذا الكلام .. هذا التسجيل مزور مزيف .. وانها لت صغعة قوية على قفاه .. كيف يكذب تسجيلا تقدمه المخابرات ..

وربما كان ما أدهش رفعت أن المخابرات جمعت بعض الشهود يشهدون ضد برعى ويؤكدون اتهامه وكلهم من رجال برعى نفسه .. كان صاحب الفضل عليهم وكانوا يعملون معه ويسرون في ركابه وليس لأحد منهم قيمة الا قيمة انتسابه الى برعى .. وبلغت الدهشة برفعت الى حد أنه بدأ يعاني من احساسه تجاه أصدقائه ومعاونيه هو الآخر .. من يدري .. ربما وقفوا كلهم شهودا ضده اذا تغيرت الأحداث وقدم إلى مثل هذه المحاكمة ..

وقد بدأ يشفق على برعى .. انه هو السبب .. هو الذى أقنع قياده الحكم بأن الانتقام من أمريكا لا يتحقق الا بالانتقام من برعى .. بل أنه خطر له أن يستغل اتصالاته للافراج عن برعى .. ولكن مستحيل .. أنه قرار اتخذته القائد الأعلى وهو قد تعلم أن يؤيد كل قرار يتخذه القائد الأعلى حتى لو لم يكن مقتنعا به .. لماذا يعرض نفسه لمجادلة القائد مما قد يفقده ثقته فيه .. لماذا يدوش دماغ القائد الرئيس وهو يعلم أن دماغه لن تعد تحتمل الدوشة .. ولم تعد تتسع



إلى أكثر من حربيته المطلقة في اتخاذ أى قرار .. وسكت رفعت  
وليحدث لبرعى ما يحدث حتى لو أعدم .. سكت وأن كان في  
دخيلة نفسه يزداد خوفا وحرصا .. انه هو وبرعى يعملان عملا  
واحدا وأن اختلفت المجالات .. وما يحدث لأحدهما قد يحدث للآخر ..  
ولكنه واثق من عبقريته وذكائه .. ان ما يحدث لبرعى لا يمكن  
أن يحدث له ..

ودون أن يتدخل أو ينطق بكلمة في صالح برعى فوجيء  
بالافراج عنه بعد انقضاء أسبوعين على اعتقاله .. ولا يدري لماذا  
أفراج عنه .. ربما استطاعت الادارة الأمريكية أن تتدخل للافراج  
عنه نظير حل مشكلة من المشاكل التي لم تحل بينها وبين  
مصر .. ربما استطاعت أن تفرج عنه نظير كفيه من القمح ترسلها  
إلى مصر .. أى دفعت ثمن الافراج بالدولارات .. وربما كانت قد  
سلطت أصدقاءها من الرؤساء العرب الآخرين للتوسط لدى عبدالناصر  
للافراج عنه .. انه لا يدري .. ولكنه واثق من أن الافراج عن  
برعى ليس معناه اطلاق حربيته واستعادته لمكانته وقوته .. بدليل  
أنه رغم الافراج عنه لم ترفع الحراسه عن كل ما يملكه ويتبعه ..  
أنه لن يعود الى قيمته الا اذا عادت أمريكا الى مصر .. وأمريكا  
لن تعود .. وقد يعود برعى الى السجن ..

ولكنه فوجيء بعد أيام باختفاء برعى من مصر كلها .. سافر

إلى أمريكا .. هل هرب .. أم أن الوسطاء الذين سعو للافراج عنه  
كانوا قد اتفقوا على أن يسمح له بمغادرة مصر ..

ومن يومها وأخبار برعى تصله من أمريكا .. لقد وصل هناك  
إلى أعلى مما كان قد وصل اليه في مصر .. لقد أصبح رجل أمريكا  
في كل البلاد العربية .. وهو من الأصل كان قد أقام صداقات  
قوية مع كثير من الرؤساء العرب .. وقد قام وهو في أمريكا بجانب  
مسئولياته السياسية بكثير من الصفقات والعمليات مع هذه البلاد  
العربية .. عمليات أضخم بكثير من العمليات التي كان يقوم بها في  
مصر .. أصبح صاحب ملايين الملايين ..

المهم ..

لقد أصبح رفعت بعد أن أزاح برعى من مصر هو الرجل الأول  
الوحيد .. ليس رجل الانجليز فحسب ولكن رجل قادة الثورة ..  
رجل الحاكم .. وقد بلغ من اعتزازه بفرحته انه اشترى من الحراسة  
الأرض الزراعية الواسعة التي كان يملكها برعى وكان يقيم عليها  
كثير من المشروعات .. أن ثمن القدان كان قد وصل الى أكثر من  
خمسین ألفا .. ولكنه اشتراه من الحراسة بألف .. ولم يكن هو  
نفسه من هواة الزراعة ولا المشروعات الزراعية انه يكره الزراعة  
ويحترقها منذ أيام كفر البطيخ .. ولكنه اشترى هذه الأرض كأنه  
يشترى برعى محمود .. فقط ليتمتع بانتصاره وبانفراذه بالحكم ..



ولم يكن يستمد قوته من أنه أصبح الرجل الأول الذي يعتمد عليه الحكم في هذا النوع من العمليات فقد استطاع أن يكتسب اعتماد الاتحاد السوفيتي أيضا عليه ..

وعاد رفعت يستعيد ذكرياته مع الروس ..

لقد ظل دائما حريصا على أن يتعامل معهم على أنه رجل أعمال لا أكثر .. وليس عميل معلومات .. ولكنه كان بين الحين والآخر يفوت لهم بعض المعلومات التي يقدر أنها تهمهم .. وكان يعتمد ألا يبدو عليه أنه يبلغهم بشيء هام .. كان يعطيهم معلومات خلال حديث عادي بريء كأنه مجرد صديق يقطع الوقت بالكلام .. ولا يعلق بشيء عندما يلحظ دهشتهم بما يسمعون منه .. أو يبدى دهشته من كثرة الأسئلة التي يطرحونها عليه مع كل خبر .. أنه يتكلم دائما بلا مبالاة كأن الموضوع الذي يتحدث فيه لا يهمه مادام خارج عن اختصاصه كرجل أعمال كل ما يهمه التصدير والاستيراد .. وكان يفوت عليهم هذه المعلومات كرشوه نظير تسهيل أعماله .. وربما كان اصدقاءه الروس من رجال السفارة من الذكاء بحيث اكتشفوا أنه ليس بريئا ولا ساذجا ولكنه يعتمد ابلاغهم بالمعلومات ليثبت أنه صديق يعمل لحسابهم .. وقد رحبوا بهذه الصداقة التي تدر عليهم هذه المعلومات .. أنها فعلا معلومات هامة خطيرة تصل أهميتها إلى أعلى المستويات .. ولا شك أنه صدرت لهم تعليمات بتسهيل كل العمليات التي يقوم بها معهم .. وقد اتسعت عملياته

اتساعا واسعا .. أصبح يحتكر تصدير القطن اليهم .. والأحذية .. والملابس الداخلية .. و .. و .. ويستورد منهم الآلات وسيارات موسكوفتش ..

ومعروف أن النظام السوفيتي يفرض أن تقوم المعاملات بين الحكومات مباشرة .. أي إلغاء مهمة الوسطاء .. ولكن نظام مكتوب على الورق والواقع أن موسكو لها دائما وسيط يتحمل مسؤولية التعامل بينها وبين أي حكومة أجنبية حتى لو كانت من الحكومات الصديقة .. وإن كانت تفضل ألا يكون هذا الوسيط شركة من الشركات المعروفة ، إنما مجرد شخص صديق يمكن أن تعتمد عليه .. وهي تمسك بالوسيط الذي تختاره الى حد أنها ترفض أن يتدخل في عملياتها أي شخص آخر حتى لو كان هذا الشخص قد اختارته الدولة الأخرى .. وكان رفعت قد أصبح الوسيط الذي تعترف به روسيا وترفض أن تتعامل مع أي وسيط آخر رغم كثرة المحاولات التي قام بها البعض ليحلوا محله .. لم يكن رفعت هو الوسيط الوحيد كان أهمهم .. ثم أن المعلومات التي كان يقدمها رفعت كرشاوى لتوطيد علاقته بالروس وتسهيل عملياتهم معهم كان يستغلها أحيانا لحماية نفسه والتخلص من منافسيه الطامعين في القضاء عليه .. كان في إحدى جلسات الصداقة ويتكلم ببساطة عن هذا الشخص .. أنه يعرقل أي عملية مع موسكو .. أنه حريص على خدمة الصين .. لقد زار الصين أكثر من مرة وعاد يروي حكايات سيئة عن صور



الصين العظيم .. ويقول رفعت هذا الكلام وهو يضحك كأنه يتكلم عن أمر عادي أو كأنه يروي نكتة .. ولكن المعلومات تؤثر في رجال السفارة الروسية ويتدخلون بالضغط على الحكومة المصرية حتى تبعد هذا الشخص عن مركزه ومسئوليته .. لقد أبعد رفعت الكثيرين من كبار المسؤولين وكان بينهم اثنان من الماركسيين الذين تولوا مركزا مهما حدسا .. بل أنه استطاع أن يبعد أحد الوزراء .. مجرد أن مثل هؤلاء الأشخاص لا يريدون الاستسلام له ..

وقد حقق أرباحا طائلة بتعامله مع الروس .. أنه الآن مليونير .. انه أبعد ثراء مما وصل اليه أحمد عبود باشا الذي كان يحلم به منذ قبل الثورة ولم يكن يتصور أنه يمكن أن يصل الى مثل ثراؤه يوم ما .. ولا شك أنه أصبح في نفس مستوى ثراء عثمان أحمد عثمان .. وليست بينه وبين عثمان منافسة .. ان كل منهما يعمل في مجال بعيد عن الآخر وبينهما صداقة عميقة .. صداقة يوطدها أن كل منهما يفهم الآخر وان كانا لا يتصارحان بما يفهمه كل منهما ..

أن التعامل مع الروس يحقق الملايين كالتعامل مع أمريكا أو أى دولة أخرى .. كل عمليات التصدير والاستيراد تعنى التعامل مع ثلاثة أطراف والثلاثة يعيشون في الملايين .. ولكن التعامل مع الروس متعب .. وهو تعب يتردد على ذهنه كلما تذكر أو كلما جلس جلسته يحدث نفسه ..

ان روتين الاجراءات التي تفرضها الادارة الروسية في تعاملها روتين معتقد .. وأشد ما فيه من تعقيد هو أنه قائم على الكذب المستمر والتحايل الخفى .. ان الكلمة التي تقال والورقة التي توقع غير ما يتم فعلا وغير ما تمتد به كل يد الى الأخرى .. وقد كلفته بعض العمليات أن يقضى شهورا طويلة في تعب وأن يسافر الى موسكو أكثر من مرة .. وكان التعب يبلغ به الى حد أن يقرر أن تكون هذه هي آخر عملية يقوم بها مع الروس .. ولكنه لا يلبث أن يجد نفسه في عملية أخرى .. ربما كان من طبيعته أنه لا يستطيع أن يكف عن المتاعب في سبيل الوصول الى أكثر .. وربما كان احساسه بأن الروس قد أصبحوا هم القوة المسيطرة على مصر .. كما كان الانجليز عندما بدأ في شبابه الاعتماد على قوتهم .. وكما كان الأمريكان الذين كان برعى محمود يعتمد على قوتهم وفشل هو في اغتصابهم منه .. هذا الاحساس يجعله لا يستطيع أن يريح نفسه من متاعب الروس .. انه لا يستطيع أن يبتعد عنهم إلا اذا ابتعد عن مصر ..

وهو يدفع الرشاوى لكل الشخصيات الروسية التي يحتاج اليها سواء من موظفين أو خبراء .. انه لا يسميها رشاوى .. أنها مجرد عمولات كالتى تعود أن يدفعها في كل العمليات .. ولكن العمولات ممنوعة قانونا في روسيا ولذلك تسمى رشاوى .. ويحوطها الخطر الذي قد ينتهى الى اعتبارها جريمة خصوصا اذا لم تكن



الحكومة راضية عن الشخص الذى تقضاها .. ورغم ذلك كان يتحمل المخازفة والا تعطلت كل العمليات .. وكان الموظفون الروس الذين يتقاضون عمولة يشترطون أن تدفع بالدولار .. وهم يهربون ما يحصلون عليه من الدولارات الى موسكو .. ان فى موسكو سوقا سوداء واسعة للعملات الصعبة أكبر عشرات المرات من سوق القاهرة .. وما كان يتعبه وينهك عقله .. عقلية كبار رجال الأعمال .. أنه لم يكن يستطيع أن يضيف هذه الرشاوى أو هذه العمولات بصراحة فى كشف الحساب .. ويضيفها إلى ثمن البيع والشراء كما يفعل فى حسابات العمليات التى يقوم بها مع لندن .. ورغم أن ما كان يدفعه للروس أقل بكثير من نسبة ما كان يدفعه الى المتعاملين الانجليز .. الى أن كانت تكلفه أكثر بدفع المزيد وهو يتحايل حتى يرفع ثمن البيع أو يخفض ثمن الشراء استرداداً لما دفعه .. أنها كلها عمليات متعبة منهكة ..

وربما كان ما يتعبه أكثر هو طبيعة أصدقائه الجدد من الروس .. يبدو عليهم أنهم محرومون من الحياة الاجتماعية الخاصة بهم لذلك يتلهفون على أى مجتمع آخر يدعون اليه .. ولا يلبون الدعوة إلى عشاء أو غداء أو سهرة مع الاحساس بأنهم يؤدون واجبا اجتماعيا ثقيلًا تفرضه عليهم مسئولياتهم الدبلوماسية ، بل يلبون الدعوة فى فرح كأنهم يقبلون على جلسة أو ليلة ممتعة خصوصا اذا لم تكن الدعوة خاصة بين الأصدقاء الأجانب .. ويفرطون منذ البداية فى

شرب الويسكى وفى الأكل ثم يبدأون فى التهليل والغناء والرقص بعضهم مع بعض .. وقد أصبح حتى يكسبهم يقيم فى بيته دعوة فى كل ليلة تقريبا .. دعوات خاصة ليس لها مناسبة رسمية .. دعوة أصدقاء .. وكان يدعوا المتزوج مع زوجته .. حتى يؤكد أسس الصداقة .. وقد عادت عليه هذه الدعوات فعلا بتحقيق عدم الكلفة بينه وبينهم .. وحقق كثير من العمليات من خلال كؤوس الويسكى .. وزوجته آمال ماهرة كست بيت فى إعداد هذه الدعوات وإشاعة جو عدم الكلفة بين المدعوين دون أن تسأل لماذا أصبح كل المدعوين من الروس .. لاشك أنه ما يتطلبه عمل زوجها ومخرج عليها أن تسأله عن أسرار عمله أو عن الدوافع والمظاهر التى يفرضها العمل .. تعودت ألا تسأل .. كل ما هى مطالبة به أن تقوم بواجبها كست بيت وأن تحقق النجاح لكل ما يجرى فى بيتها ..

ولكن رفعت بدأ يلاحظ أن صديقه فلاديمير ماركوف يبذل مجهودا أكثر من اللازم فى التقرب إلى زوجته .. أنه ينزوى بها فى أحد الأركان ويتبادل معها الحديث طويلا .. لعله يحدثها عن الأدب الروسى وآمال من هواة الأدب وتقرأ الكثير من القصص العالمية .. ثم يراه يمسك بيدها ويلعب بأصابعها وهما يتضحكان .. لعله يعلمها لعبة كشف الحظ من خلال أصابع اليد .. وبدأ رفعت يشك فى تقرب افلاديمير إلى زوجته .. أنه شخصية مهمة من شخصيات التجاره ويملك تسهيل العمليات .. ولكن ليس معنى هذا أن



يستسلم له رفعت ويتركه يحاول هذه المحاولات مع زوجته .. وآمال  
بريئة واثقة في نفسها إلى حد أنها يمكن ألا يخطر على بالها أن تشك  
في نيات هذا الصديق .. يكفي أن تقوم بالترفيه عنه كواجب ست  
البيت .. حتى لو كان يطلب منها تحديد موعد لقاء خاص بينهما ..  
هل طلب منها موعدا .. ان آمال لا تشكو إليه من سفالة صديقه  
ولا تقول له شيئا عما يجري بينها وبين المدعوين مادام ليس فيما  
جرى شيء يخصه ..

ولم يحتمل رفعت .. ما كاد يلحظ فلاديمير وهو ينزوي بآمال  
في إحدى الدعوات حتى ذهب وراءهما ووقف بينهما .. واشتدت  
المناقشة حول موضوع تافه وفلاديمير ينظر إليه في ضيق كأنه يتهمه  
بأنه تعدى على اختصاصه بالوقوف بينهما إلى أن قال له بصراحة :

— لماذا لا تذهب وتنفاهم مع زوجتي وتركني أنفاهم مع  
زوجتك ..

ورد رفعت وهو يضحك ضحكة مفتعلة :  
— إني لا أنفاهم مع الزوجات ولكني منخصص في التفاهم  
مع الأزواج ..

وانتهت الليلة وسأل رفعت زوجها بعد أن اختليا :

— ما رأيك في فلاديمير ..  
وقالت آمال في بساطه :

— لطيف ..

وقال وهو ينظر في عينيها كأنه يحاصرهما .. :

— ألم يتجراً عليك ويعبر عن سفالته ؟

وقالت آمال وهي تبسم في براءة هادئة :

— أبدا .. انه يروى لي كثير من القصص والحكايات ..  
وأنت تعرف أني أحب القصص ..

لعل آمال لا تريد أن تكشف عن سفالة صديق حرصا على  
مصالحه معي .. حتى يستمر العمل هادئا .. ان الزوجه الذكية هي  
التي تحرص على صداقة زوجها مع من يعمل معهم ..

ورغم ذلك فقد قرر رفعت من يومها أن ينقل ليالى الدعوات  
من شقته المظلة على النيل إلى الشقة التي في جاردن سيتي .. وكان  
يدعو إليها أصدقاءه الروس مع زوجاتهم أيضا .. ان شقة جاردن  
سيتي ليست جارسونية خاصة بالأزواج بلا زوجات وبالزوجات  
بلا أزواج .. انها شقة محترمة وان كانت لا تدخلها زوجته آمال ..  
منذ تزوجها لم تدخل هذه الشقة ربما لأنه حريص على أن يبعدها  
عن ذكرياته وحريص على أن يحتفظ لنفسه بحريته الكاملة داخلها ..  
انها شقة عازب .. ولكنه بدأ يدعو إلى ليالى جاردن سيتي نوعا من  
الزوجات المعروفات في المجتمع الراقى .. مجتمع رجال الأعمال ..  
أنهن زوجات متساهلات يستطعن أن يحين حفلة بمجرد وجودهن ..



ويدعون إلى كثير من مثل هذه السهرات بدل دعوة راقصة أو مطربة  
أو فرقة موسيقية لأحياء الحفل .. رغم أن كل منهن لها زوج محترم  
يتولى مركزا محترما .. ربما لم يصل الأزواج إلى هذه المراكز إلا  
بفضل ذكاء الزوجات .. ان سميرة هانم تعرف بأنها تضحك دائما  
وصوت ضحكاتها يملأ من أول الحفل حتى آخره .. وضحكاتها  
تلم حولها كل الرجال .. ربما تعودت هذا الإفراط في الضحك حتى  
تلهي الناس عن النظر إلى صدرها .. ان نهديا كبيرتان جدا  
يبرزان فوق صدرها كمدفعين من المدافع المضادة للطائرات ..  
ولكن دمها خفيف إلى حد الإغراء وكأنه اغراء يدعوك إلى التمتع  
به في الفراش .. ورفعت يذكر يوم مرت على فراشه .. انها ممتعة ..  
وميرفت هانم زوجة رائعة الجمال .. ولكنه جمال بارد .. وهي تدخل  
إلى الحفل وتختار مكانا بارزا وتجلس فيه صامدة وبين شفيتها ابتسامة  
هادئة وعينيها الذكيتين الجميلتين تدوران بين المدعوين تفحصهم  
واحدا واحدا .. ومجرد وجودها صامدة يدفع كل الرجال إلى محاولة  
التقرب إليها بشدهم جمالها .. وهي تستقبل كل رجل حسب أهمية  
مركزه .. وتحدد مدى ما تعطيه .. بل مدى ما تسمح به من الجلوس  
بجانبا .. هل تتركه يحاول معها خمس دقائق أم عشره أم تحتفظ به  
طول السهرة إلى تحديد موعد للقاء الفراش .. انها ذكية .. وقد مرت  
على فراش رفعت .. انها باردة رغم جمالها كل قطعة منها ولكنها  
تبذل مجهودا كأنها بائع جيلاتى يحاول أن يمتعك بالكأس المثلج

الذى يقدمه لك .. و .. و .. كثيرات .. وكلهن يرحبن بالدعوة  
مع أزواجهن .. يكفى أن الداعى هو رفعت بيه اليومى ..  
وقد أنطلق أصدقاءه الروس أكثر في ليالى جاردن سیتی ..  
كأنهم فهموا أن جاردن سیتی غير بيته في شارع النيل .. وقال له  
صديقه فلاديمير في أحد الليالى :  
— أين زوجتك آمال .. أننا نفتقدها ..

وقال رفعت ضاحكا :

— انها تعتبر أنها هي التى ستدخل امتحانات الجامعة وليس  
الأولاد لذلك فهي مشغولة في المذاكرة ..

وقال فلاديمير ساخرا :

— ان الامتحانات ستنتهى يوما ما :

ولم يكن رفعت قد أبعد زوجته آمال عن كل لياليه ولكنه  
حصر اعتماده عليها في إقامة الحفلات الرسمية في شقة النيل التى يدعو  
إليها السفراء والوزراء ورجال الثورة والقيادة .. حتى يستريح من  
نزعات كفر البطيخ التى تثور وتضايقه كلما حاول رجل أن يتقرب  
إلى زوجته ..

وقد فوجئ يوما بصديقه فلاديمير يتصل به ويقول فى بساطة  
ضاحكة :



هل أستطيع أن أجد عندك مفتاح شقة خالية كشقة جاردن سیتی مثلاً؟

وقد دهش رفعت ولكنه أخفى دهشته وراء كلمات ضاحكة وأسئلة كثيرة يوجهها ضمناً إلى فلاديمير .. أنه يريد الشقة ليلتقي فيها بامرأة .. ولكن أى امرأه .. أن فلاديمير يرفض أن يصارحه .. لا يمكن أن يكون قد وصل إلى اقناع زوجته آمال والا لبحث عن شقة لدى آخر .. ولكن ..

وقال رفعت في التليفون كأنه يستسلم :

— سأرسل لك المفتاح ..

وألقى سماعة التليفون وقبل أن تشتد عليه شكوكه وحيرته دق جرس التليفون وسمع صوت صديقه الضاحكة سميرة هانم تقول من خلال ضحكاتهما :

— ان صديقك الروسى الذى اسمه فلاديمير يلح كثيراً .. ماذا أفعل معه ..

وقال رفعت وقد أحس باراحته كأنه أفاق من شكوكه وحيرته :

— لا تخيبي أمله .. أنه شخصية هامة .. كل أعمال السفارة بين أصابعه ..

ان سميرة ذكية .. أنها لا تقدم على لقاء فلاديمير الا بعد أن تستأذن رفعت حتى تتأكد من أن هذا اللقاء لا يتعارض مع أعماله ..

ومن يدري .. ربما لو التفتت به سرانم كشف رفعت عن السر لصب عليها غضبه .. وغضب رفعت بخرب البيوت ..

وبعد يومين عادت سميرة واتصلت به وقالت ضاحكة :

— ان أصدقاءك الروس لا يستحقون شيئاً ولا حتى لمسة يد .. هل تدري ماذا أهداني صديقك فلاديمير .. عروس من الخشب لا يمكن أن يتجاوز ثمنها في بلادهم عشرة قروش .. وضحك رفعت قائلاً :

— أنهم بخلاء .. ولكنهم معذورون .. أنهم مفلسون ..

وقالت سميرة وضحكتها تلعلع في التليفون :

— لعلهم يؤمنون بالعدالة الاجتماعية حتى في حجرة النوم .. أنه يتصور أنه أعطاني بقدر ما أعطيته .. متعنى بنفسه كما تمتع بي ..

وقال رفعت في صوت جاد وقد كف عن الضحك ..

— سأعوضك من بخل فلاديمير ولكن أحرصى عليه .. أنه يهمنى ..

واستمرت علاقته بالروس قوية وطيدة .. أنه رجل الروس الأول .. وذلك دون أن يفرط أو يستهين بعلاقته بلندن .. لقد عادت العلاقات الدبلوماسية وفتحت السفارة البريطانية وعاد إليها



نفس موظفيها أو أغلبهم .. ومن بينهم صديقه مالمو كولم .. ان كل كلمة تصل اليه يبلغها مالمو كولم .. .. وبعضها يبلغها هي نفسها لموسكو .. أنه عبقرى .. أعجوبة الاتصالات الدولية ..

واستعداد رفعت الذكرى التي تتردد كثيرا على عقله .. ذكرى اليوم الذي فوجيء فيه بقرار من موسكو بنقل كثير من موظفي السفارة الروسية في مصر .. أن موسكو لم تعلن أن السبب في نقلهم هو تقاضيهم الرشاوى بل أنها لم تعاقب أحداهم بل اكتفت بنقلهم الى وظائف داخل موسكو أو في سفارات أخرى .. وهو قد عرف السبب الحقيقي لهذا النقل .. واحتار في تشكيل أسلوبا جديدا معهم وعلى قدر همه فرح بأن صديقه فلاديمير قد قرر النقل .. لقد كان جريئا تجاه شهواته .. وقد استراح منه .. ثم فوجيء باستدعائه إلى ادارة المخابرات .. وقال له المدير من خلال ابتسامة واسعة بعد أن أستقبله بترحاب كبير :

— انك منهم بأنك تدفع رشاوى لرجال السفارة ..

وكان رفعت صريحا .. انه يعلم أن العلاقات بين مصر وروسيا رغم كل مظاهر التحالف والصداقة يجري فيها ليار تحتى من الحقد

والغيظ وعدم الاطمئنان المتبادل .. لذلك فهو لا يهتم أن يكون صريحا مادام لا يقوم بعمليات ضد أو تعرقل خط الثورة .. قال :

— انى أدفع عمولات كالتى تدفع فى كل العمليات مع كل الدول .. ولا تصدقوا أن روسيا ترفض العمولات كل ما هناك أن القانون يسميها هناك رشاوى .. وقال مدير المخابرات فى هدوء ::

— أنا نرى أن تتوقف عن التعامل معهم إلى أن يتضح موقفهم بالنسبة لك .. فهناك ضجة خفية حولك هذه الأيام ..

وامتنع رفعت فعلا عن الاتصال بأصدقائه فى السفارة أو بأصدقائه فى موسكو بل أنه أوقف حتى العمليات التى لم تتم .. ومن يدري .. ربما كانوا يبحثون عن وسيط آخر يتولى عملياتهم .. لا يهتم .. مهما أبعدوه فان ما جمعه من التعامل معهم يكفيه ويستطيع أن يعود ويفتح أبوابا جديدة للتعامل مع لندن ..

لم تنقض أسابيع حتى بدأ رجال السفارة الجدد يتصلون به .. ان موسكو لم تتخل عنه .. انها لا يمكن أن تتخل عن صديق سبق أن تعاملت معه ونجح فى تعامله معها .. وفرح رفعت بعودة موسكو



اليه .. ولعل رجالها الجدد لن يتعجبوا بتقاضى العمولات .. أى الرشاوى .. ولكن أبدا .. لم يتغير شيء .. أن الجدد يأخذون حتى وهم فى انتظار نقلهم إلى بلاد أخرى ..

وكانت الأزمات قد بدأت تشتد بين مصر وروسيا .. دائما نفس الأزمات .. أزمات حول التسليح .. نفس الأزمات التى سبق أن فصلت بين مصر وأمريكا .. وبذل رفعت مجهودات كثيرة فى محاولة زج نفسه فى حل هذه الأزمة .. وهو دائما حريص على أن يثبت أنه بجانب المطالب المصرية .. ولكن لا أمل .. إن روسيا لا تتعامل فى السلاح كمجرد عملية تجارية تعود عليها ببربح ضخمة هائل .. أنها أولا عملية سياسية .. والسياسة الروسية لا تسمح إلا باعطاء مصر هذا النوع من السلاح ..

وحدث أن عرف رفعت أن مصر تطلب استيراد أنواعا معينة من معدات الرادار .. وروسيا لا ترفض صراحة ولكنها تماطل مماثلة إلى اليأس .. وبمجهود رفعت التى يبذلها فى دراسة كل عملية اكتشف أن نفس معدات الرادار تصنع فى بريطانيا .. ليست هى بالذات ولكنها تقوم بنفس المهمة وربما على مستوى أفضل .. واعتمد على جرأته وعرض على القيادة أن يستورد لها هذه المعدات من لندن ..

وترددت القيادة طويلا اعتمادا على روسيا ولكن أخيرا بعد أن اشتد بها اليأس وافقت .. ووافقت لندن بسرعة على تصدير هذا السلاح إلى مصر .. ان السياسة عندهم تقدر قبعة الأرباح التى تعود على الدولة .. ولاشك أنها سياسة تؤيد اشتراك بريطانيا مع روسيا فى توريد السلاح إلى مصر .. إن السياسة تريد أن تعود بريطانيا إلى مكانتها القديمة فى مصر ..

وحرص رفعت على أن يبلغ الخبر لموسكو بطريقة الخاصة .. أنه سيستورد لمصر معدات رادار من لندن .. أنه يريد أن يطمئن إلى موقف موسكو .. وقد اطمأن .. أن موسكو لم تعترض ولم تتدخل لدى القيادة العليا .. بل ربما كانت تعرف بالخبر قبل أن يصلها منه .. سياسة غريبة .. كيف ترفض موسكو تصدير هذا السلاح إلى مصر بينما تسكت على أن تقوم مصر على استيراده من لندن ..

ونمت الصفقة ..

وفرح بها رفعت اليومى كما لم يفرح من قبل بأى عملية حققها .. إنها أول صفقة سلاح يحققها وأرباحها هائلة توازى أضعاف أضعاف أرباحه من العمليات التى كان يحصر نشاطه فيها .. يجب



أن يتفرغ منذ الآن لصفقات السلاح .. ثم أنها أول صفقة لاستيراد  
السلاح من خارج روسيا لعل رفعت هو صاحب الفضل في أسس  
المبدأ الذي ساد مصر بعد ذلك وأصبح شعارا لمصر .. مبدأ حرية  
استيراد السلاح وتعدد مصادره ..

وقفزت خواطر رفعت البيومي فجاءه إلى أبعده مما كانت فيه ..  
لقد عاد برعى محمود إلى مصر بعد أن غاب عنها وعنه أكثر  
من عشر سنوات ..

وبدأت معركة الكبرى ..

لقد كانت مصر في ذلك الوقت في حالة من الضعف والاضمحلال ..  
وكانت مصر في حالة من الضعف والاضمحلال ..  
وكانت مصر في حالة من الضعف والاضمحلال ..  
وكانت مصر في حالة من الضعف والاضمحلال ..  
وكانت مصر في حالة من الضعف والاضمحلال ..  
وكانت مصر في حالة من الضعف والاضمحلال ..  
وكانت مصر في حالة من الضعف والاضمحلال ..  
وكانت مصر في حالة من الضعف والاضمحلال ..

لقد كانت مصر في حالة من الضعف والاضمحلال ..  
وكانت مصر في حالة من الضعف والاضمحلال ..  
وكانت مصر في حالة من الضعف والاضمحلال ..  
وكانت مصر في حالة من الضعف والاضمحلال ..  
وكانت مصر في حالة من الضعف والاضمحلال ..  
وكانت مصر في حالة من الضعف والاضمحلال ..  
وكانت مصر في حالة من الضعف والاضمحلال ..  
وكانت مصر في حالة من الضعف والاضمحلال ..

لم تكن الأحداث التي وقعت عام ٦٧ وانتهت بمصر إلى الهزيمة  
العسكرية لها أثر في حياة رفعت البيومي .. لم يكن هناك ما يربطه  
بهذه الأحداث أو بهذه الهزيمة من قريب أو بعيد .. ولم يكن يعتمد  
على شلة عبد الحكيم عامر حتى يفقد شيئا بفقدانه .. صحيح أن  
الهزيمة صدمته كمصري لا يستطيع أن يتجرّد من مصريته خصوصا  
وأنه كان يجارى كل الأكاذيب التي كانت تعلن قبل المعركة رغم  
أنه كان يعلم أن بعضها هي فعلا أكاذيب إلا أنه لم يكن يتصور أن  
تصل النكبة إلى هذا الحد .. بل أنه حتى بعد أن بدأت إسرائيل  
بالضربة الأولى وكانت ضربة ساحقة ظل معتقدا أن مصر ستضرب  
الضربة الثانية أعنف وأشدّ سحقا .. ولكن خاب أمله .. لا يهم ..  
المهم أنه لا يحمل أى مسئولية من مسئوليات هذه الأحداث .. وإذا



كانت الرئاسة تعرف أنه لا يزال رجل الانجليز في مصر فان  
الانجليز أيضاً لم يكن لهم دخل في هذه الأحداث .. ثم أن الأزمات  
مهما اشتدت بين مصر وروسيا وخصوصاً بعد المعركة فان روسيا  
تعتقد أنه مجرد رجل أعمال رغم العمليات التي كان ينقلها اليه على  
سبيل الرشوة .. ولا يمكن أن تحمله أى مسئولية في هذه الأزمات  
وتحرمة من التعامل معها .. ثم أن الرئاسة المصرية تعلم أنه ليس  
ماركسيا وليس من رجال روسيا في مصر رغم تعامله معها فلا يمكن  
أن تفكر في المساس به .. ان رجل الأعمال العبقري يستطيع أن  
يجارى الهزيمة كما يجارى الانتصار دون أن يمس شخصه أو أعماله  
أى شئ .. ولا شك أنه عبقري ..

وقد اتسعت أعماله بعد الهزيمة ..

إن مصر أصبحت أكثر حاجة إلى روسيا ليس فقط في استيراد  
السلاح ولكن في استيراد مطالب الحياة .. كاستيراد المواد الغذائية  
والملبوسات وإتمام المشروعات التي لم تتم .. وهو لا يتعامل مع  
روسيا في عمليات استيراد السلاح ولكنه يتعامل معها في كل  
عمليات استيراد مطالب الحياة .. اتسعت عملياته حتى أصبح وكأنه  
يسيطر على كل مصر .. وأكثر من ذلك .. فقد كان نجاحه في  
إتمام صفقة استيراد معدات الرادار من بريطانيا دافعا لأن تبدأ  
القيادة في التفكير في استيراد أنواع أخرى من السلاح من خارج

روسيا .. وقد عرضت عليه هذه الأنواع واختار منها عملية استيراد  
طائرات الميراج من فرنسا .. أنها صفقة ضخمة .. ملايين الملايين ..  
وربما أستطاع بعدها أن يتفرغ للتخصص في استيراد السلاح .. وقد  
قضى شهورا يبذل مجهودا ينهكه ويسافر بين كل حين وآخر إلى  
باريس لإتمام الصفقة .. ولكنه لم يستطع إتمامها .. كانت العلاقات  
الجديدة التي قامت بين عبدالناصر والدول العربية قد دفعت بعض  
هذه الدول إلى امداد مصر بهذه الطائرات .. لا يهم .. هناك أنواع  
أخرى من السلاح .. واستيراد السلاح أوسع حتى أصبح وكأنه  
استيراد الحياة ..

وما أزعج رفعت أيامها أنه عرف من خلال السرايب  
التحتية أن هناك اتصالات بدأت الرئاسة تقوم بها مع برعى محمود  
في أمريكا .. هل يمكن أن يعود برعى إلى مصر .. أنه لو عاد  
لقضى عليه وأطاح به من فوق عرشه الذى يتباهى به منذ سنوات ..  
فيرعى في هذه الأيام ووسط هذه الظروف يعتبر الأقوى .. أنه  
صديق أمريكا والرئاسة بدأت تؤمن بأنها لا تستطيع أن تواجه  
مشاكلها وهي تعادى أمريكا .. وقد يستطيع برعى أن يعود بأمريكا  
إلى مصر .. ثم أنه على علاقات قوية مع كل البلاد العربية الصديقة  
لأمريكا والتي أصبحت مصر تتوحد اليها وتتقارب منها إلى حد تقبيل  
الأبداى .. وسيكون برعى قوة في تأكيد واستغلال هذه العلاقات ..  
ومن يدري ربما كان له دخل في التأثير على هذه الدول العربية في



إمداد مصر ببعض الأسلحة والطائرات .. ان برعى يتدخل باسم أمريكا وهذه الدول لا يمكن أن تتصرف دون موافقة أمريكا .. وقد حاول رفعت كثيرا أن يتقرب ويتعامل مع هذه الدول العربية .. ولكنه لم يستطع أبدا أن يصل إلى مثل قوة برعى .. ربما لأنه ليس محسوبا أنه من رجال أمريكا ..

وقد حاول رفعت أن يخفف من جزعه وانزعاجه فاقنع نفسه بأن الإدارة الأمريكية لا يمكن أن تعود للتعامل مع عبدالناصر .. هذه هي سياسة الطبيعة الأمريكية .. إذا وصلت إلى قمة اليأس ترفض أن تعود إلى تقدير الأمل .. ولاشك أن برعى يقدر ذلك .. فإذا كانت أمريكا ترفض العودة إلى مصر فهو نفسه لن يعود ..

إلى أن وقعت فوق رأس رفعت المصيبة الكبرى ..  
ذهب جمال عبدالناصر .. مات ..

وأحس رفعت البيومي في نفس اللحظة التي سمع فيها خبر موت عبدالناصر بأنه هو شخصا انتزع من مكانه وأصبح معلقا في الهواء ولا يدري متى يعود ويستقر على الأرض .. ولا أين يعود ويستقر ..

انه منذ بداية الثورة وقد ربط كل حياته بعبدالناصر .. بقوة الحاكم .. وكان من الذكاء بحيث يقدر أنه لن تقوم في الثورة كلها قوة بجانب قوة عبدالناصر .. سيبقى هو دائما القوة الوحيدة ..

وكان بالنسبة للآخرين يساير من يسايرهم عبدالناصر ويقر بهم ويعتقد عليهم .. ويتعد عن كل من يغضب عليهم عبدالناصر ويعدهم .. ولكنه كان دائما حريصا على ألا يدخل في أى معركة يمكن أن يرميه فيها ارتباطه بعبدالناصر .. لقد تباعد عن عبداللطيف البغدادي وزكريا محيي الدين وكمال الدين حسين و .. وكل من ابتعدوا عن عبدالناصر .. رغم صلاته القوية التي كانت بينه وبينهم .. ورغم أنه كان حريصا على مرضاتهم واكتسابهم .. ولكن كلهم لم يغضبوا عليه لتباعده ولم يعلنوه بنقمتهم واحتقارهم له .. لعلمهم يعتبرونه كأنه ليس صاحب رأى ولا صاحب موقف .. إنه رجل أعمال .. خادم من يعمل معه .. وربما عاد اليهم وبذل ما كان يبذله في مرضاتهم إذا عادوا هم إلى سلطاتهم واحتاجوا اليه في أعمال .. حتى أيام عبدالحكيم عامر وإلى أن بدأت الأزمة الخطيرة بين رئاسة الحكم ورئاسة الجيش .. ظل محتفظا باطمئنان عبدالحكيم اليه أو على الأقل بوقوفه خارج المعركة رغم أنه كان يبذل كل طاقته لتأييد عبدالناصر حتى ينتصر على عبدالحكيم .. طاقته التي يستمدّها من الانجليز ومن الروس ومن قوته كرجل أعمال يستطيع أن يقدم كل أنواع الخدمات .. أن عبدالناصر قوة مهيمنة على أدق تفاصيل ما يجري في مصر .. كأنه أصبح الأكسجين الذي تنفس به مصر .. وهو يذكر صديقه الذي كان مديرا لمكتب عبدالناصر وقفز به عبدالناصر حتى عينه رئيسا للوزراء .. وفي يوم



التقى به و طال بينهما النقاش حول إحدى العمليات فقال له الصديق وهو يتنهد .. « هل تعتقد أنى رئيس للوزراء .. أبدا .. إني لازلت مدير مكتب الرئيس » .. وهكذا كان كل من يتحملون المسؤولية فى أيام عبدالناصر .. كلهم لبسوا أكثر من سكرتارية فى مكتب عبدالناصر .. لذلك فهو لا يمكن أن يعيش بعيدا عن عبدالناصر .. وكان عبدالناصر نفسه يقدر فيه كل ذلك فظل محتفظا به يقربه اليه حتى آخر أيامه .

والآن ..

كيف يرسم علاقاته واتصالاته بالرئيس الجديد ..

أنه يعرف أنور السادات معرفة شخصية منذ بداية الثورة ولكنه فى الواقع لم يكن يركز على هذه المعرفة ويحيطها بشئ من الاهتمام أو التعال الذى كان يبذله لباقي المحيطين بعبد الناصر .. لم يلهمه ذكاءه بأن السادات يمكن أن يصل فى يوم من الأيام إلى كل هذه القوة .. ربما لأن عبدالناصر نفسه كان يعامل السادات معاملة فاتره ولا يقدر له شخصية قوية يمكن أن يعتمد عليها وينفرد بها عن باقي الشخصيات .. كل شئ حدث نتيجة ظروف ومفاجئات لم يستطع ذكاءه رفعت أن يلاحقها .. وقد حاول منذ البداية أن يضع نفسه بالنسبة للحكم الجديد فى نفس المكانة التى عاش بها خلال الحكم القديم .. ولكن مستحيل ..

ان كل شئ يتغير ..

وهذا مفروض ..  
أنه لا يمكن أن ينتظر أن تكون طبيعة شخصية أنور السادات هى نفس طبيعة جمال عبدالناصر .. ولانفس العقلية .. ولا نفس أسلوب الحكم ..

وقد استقبله أنور السادات بعد أن تولى الحكم بترحاب كبير .. وبدى كأنه قرر الاعتماد عليه كما كان عبدالناصر يعتمد عليه .. ولكن رفعت لم يطمئن إلى هذا الترحاب ولم يصدق نفسه وهو يتخيل أن الحكم سيستمر فى الاعتماد عليه .. وقد فوجئ بسرعة أن الحكم بدأ يعتمد على غيره فى نفس الأعمال التى كان يقوم هو بها .. وينفرد بها .. سحب منه السادات حق الاحتكار والانفراد بهذه الأعمال .. وهل لم يعد فى حاجة إلى هذه المعلومات الهامة التى تعود أن يقدمها للهيئة الحاكمة حتى تصل إلى الحاكم .. لعل الشخصيات الجديدة التى أصبحت تحيط بالحاكم هى التى دفعت إلى محاولة الاعتماد على غير رفعت .. أو على الأقل ألا يعتمد على رفعت وحده .. وقد حاول أن يمد اتصالاته بهذه الشخصيات الجديدة ورغم أنه أحس أنه استطاع أن يكتسب بعضها إلا أنه لا يستطيع أن يعود بهم إلى الاطمئنان الذى كان يعيش أيام عبدالناصر .. أنها شخصيات لا يمكن أن تكون لها قيمة إلا من داخل قيمة السادات .. ولعلمهم يعلمون أنه ليس له هذه القيمة العظمى فى تقدير السادات كما كانت له فى تقدير عبدالناصر .. والفرق كبير .. ان الحاكم



لا يستطيع أن يعتمد الا على من له فضل عليهم .. وقد كان عبدالناصر صاحب فضل عليه .. هو الذى شمله برعاية الثورة .. وهو الذى سكت على صداقته للانجليز .. هو الذى فتح له كل هذه الحرية التى حقق بها مشروعاته .. وهو الذى كلفه بمهام كثيرة رفعت من مركزه وقيمه فى البلد وبين كل الدول الأجنبية التى يتعامل معها .. فإذا يستطيع السادات أن يقدم له من فضل حتى يأسره بفضله عليه .. لا شئ .. ان كل ما يستطيع أن يقدمه هو الاستمرار فيما كان يقدمه له عبدالناصر .. أى سيقى السادات دائما معقدا يعتبر نفسه أنه ليس صاحب فضل على رفعت .. وسيقى رفعت فى نظره كأنه رجل عبدالناصر .. والسادات معذور .. إن من طبيعة الحاكم أن يبحث عن يأسره بفضله عليهم ..

كان كل ذلك يعصف بخواطر رفعت البيومى ويحاول أن يتسم بينه وبين نفسه ابتسامته المغرورة حتى يخفف من جزعه ويستعيد اطمئنانه .. وهو يستطيع أن يطمئن .. أن روسيا لا تزال فى مصر .. وروسيا لم يهتز اعتمادها عليه .. ويلاحظ أن أصدقاءه فى السفارة بدأوا يترددون عليه أكثر ويكثر من أسئلتهم التى يوجهونها اليه وكأنهم أصبحوا ضرخاء من اعتبارهم مصادر معلومات لا مجرد رجل أعمال .. ومادام الروس يعتمدون عليه فلن يفكر الحكم فى الاستغناء عنه .. وهذه الشخصيات التى أتوا به وعهدوا اليهم ببعض أعماله لا تساوى شيئا .. أنه مع الأيام يستطيع أن يقضى

عليهم ويتخلص منهم ويعود إلى احتكاره لكل شئ .. لكل عملية .. إلى أن فوجئ بطرد الروس من مصر .. طرد القوات السوفيتية والخبراء السوفيت .. أنه لم يقتنع أن يحصل على أى معلومات مسبقة يبلغ بها الروس والانجليز رغم اتصالاته متى كان قد وصل اليها مع الكثيرين من الشخصيات الحاكمة .. ربما كانوا هم أيضا لم يعلموا بشئ مقدما .. وانفرد بالقرار أنور السادات لنفسه إلى أن فاجأه به بدليل أن بعض الوزراء قدموا استقالاتهم لأنهم لم يتحملوا المفاجأة ..

وأحسن رفعت بالضعف أمام أصدقاءه الروس .. أنه لم يخدمهم بخبر طردهم مقدما حتى يستعدوا له .. وأحسن كأنهم بدأوا ينظرون اليه كأنه رجل أعمال عادى ليس لديه ما يمكن أن يدفعهم إلى الاعتماد عليه نظير تسهيل عملياته .. بل أنه أحسن كأنه أصبح ضعيفا بالروس .. لم تعد لهم القوة التى يمكنه الاعتماد عليها .. ربما كان من الأفضل له أن يبدأ فى التباعد عنهم ..

وقد بدأ يحس أكثر أنه أصبح هو نفسه مبعدا عن الحكم .. ان أصدقاءه يستقبلونه فى فتور .. ويعتمدون أن يكون الحديث معه عاديا لا يكشف عن أى سر من الأسرار رغم استمرار تحايله حتى يكشف عن أى سر .. وهو يعلم أن الحرب ستقوم .. مصر ستهاجم اسرائيل .. ولكنه لا يعلم من أكثر مما يقرأه فى الصحف .. صحيح



أنه يستطيع الحصول على بعض التفاصيل .. ولكنها تفاصيل لا تؤكد له حتى ستقوم هذه الحرب ولا كيف ستبدأ .. ثم لا أحد مع المسؤولين يتصل به ليشارك في تغطية مطالب هذه الحرب ولا باستيراد المواد الغذائية التي يمكن أن تؤمن بطون مصر أيام الحرب إذا كانوا لا يريدون تكلفته بالتدخل لاستيراد أسلحة .. لقد فقد كل ما كان له من مكانة ومسؤوليات أيام عبدالناصر ..

وقرأ أخبار حرب ٧٣ في الصحف وزاد عليها كلمات من مصادر أخباره .. كلمات لا تلبث أن تكون على أرصفة الشوارع ولا ترتفع إلى قيمة الأسرار ..

إلى أن فوجيء المفاجأة الكبرى ..

عاد برعى محمود إلى مصر ..

عادت أمريكا ..

وقد عاد برعى وكأنه يحمل على رأسه صولجان النصر .. لقد انتصر فعلا .. ومن يدري ربما كان يعمل مع أمريكا في تحقيق هزيمة ٦٧ ولا يزال يعمل معها في كل الاتصالات التي أعقبت حرب ٧٣ .. وعقب وصوله بساعات صدر قرار بالغاء الحراسة التي كانت مفروضة عليه .. وردت له الحكومة كل ممتلكاته وكل مشروعاته وكل مكاتبه .. والممتلكات التي كانت الحكومة قد تصرف فيها بالبيع ولم تستطع أن تردها إليه دفعت له تعويضاً عنها ..

دفعت بسخاء عجيب .. ان قطعة الأرض التي كان يملكها والتي اشتراها رفعت من الحراسة ولم يدفع فيها أكثر من عشرة آلاف جنيه دفعت له الحكومة تعويضاً عنها مليون جنيه .. سخاء عجيب .. كأنها كانت تدفع لأمريكا لا لبرعى ..

ومنذ وصل ورفعت يعلم أنه على اتصال مباشر مستمر مع الرئاسة .. اتصال لا ينفع يوماً ولا ساعة .. وفي الوقت نفسه بدأ فوراً في الإعداد لمشروعاته .. لقد دعا إلى مصر فريقاً من كبار الممولين الأمريكيين وأعد لهم لقاءات مع المسؤولين قدموا خلالها مشروعات برؤوس أموال تصل إلى ملايين الملايين .. ورفعت مذهول حائر أمام طغيان برعى .. ولا شك أنه بعد أن يجد الوقت الكافي سيتفرغ للقضاء عليه .. سيتقم لنفسه .. سيدخله السجن أو يطرده كما سبق وتسبب هو في سجنه وطرده ..

ولعل الكارثة قضت على ذكاء رفعت .. فهو لا يستطيع أن يعتمد على عبقريته في إيجاد الوسيلة التي يواجه بها طغيان برعى .. ووجد نفسه يعود إلى كلام سبق أن اعتمد عليه مجده .. بدأ يردد في كل مناسبة تجمعه بأحد المسؤولين أنه متأكد من أن أمريكا لا يمكن أن تعتمد على أنور السادات .. لايهمها أن تغير رئيس برئيس .. أنها تريد أن يتغير نظام الحكم كله ليكون قريباً من النظام الأمريكي والنظام الأمريكي يقوم على نوع من الديمقراطية وتعدد الأحزاب .. والدليل أن رجلها برعى محمود بدأ يتصل بالوفدين ويلتقي بفؤاد



سراج الدين .. بل انه يتصل بشخصيات سياسية قديمة لم يكن لها صلة بالثورة وليس لها علاقة بالنظام القائم ..  
ولكنه لم يحس بأثر لما يردده على مصير برعى محمود ..  
والأعجب من ذلك رغم أن ما كان يردده كان فيه كثير من المبالغة وكثير من المعلومات المفتعلة المقصود بها التوقيع بين الحكم وبرعى .. رغم ذلك وجد أن الحكم نفسه يتجه نفس الاتجاه الذى كان يحذر منه فيما يردده .. أن الرئاسة بدأت تتصل فعلا بالوفدين وبالشخصيات السياسية القديمة .. وبدأت تعلن عن الديمقراطية وتمهد لنظام تعدد الأحزاب .. غريبة .. لعله لم يفقد ذكائه وأن ما كان يردده للوقية لم يكن سوى تعبير عن الواقع المنتظر الذى ينبض به ذكاؤه .. واقع عودة أمريكا إلى مصر ..

وقد حاول أن يقيم اتصالات مع الأمريكان .. ولكنهم يعاملونه معاملة غريبة ليس فيها حتى مجرد النفاق الدبلوماسى .. لقد كانوا أيام زمان يعرفون كل شئ عنه .. كانوا يعرفون أنه رجل الانجليز .. ورغم أنه كان يحس بعدم حاجتهم اليه الا أنهم كانوا يحترمونه ويعاملونه بالمظاهر الدبلوماسية .. ولكنهم بعد أن عادوا بصرون على تجاهله تجاهلا يحمل معنى الاحتقار .. حتى أنه لم يستطع الوصول الا إلى صغار موظفى السفارة وصغار الشخصيات التى أصبحت القاهرة تزدهم بهم ويعرف أن معظمهم نصابين جاءوا للنصب على الحكومة المصرية بعمليات زائفة ..

لماذا لا يتصل برعى محمود نفسه ..  
ان برعى لا يمكن أن ينسى ما كانت عليه قيمته وقوته .. لقد كانت القيمة والقوة تعرف باسمه .. اسم رفعت البيومى .. ولاشك أن برعى وهو رجل أعمال يقدر الواقع ويعرف أن رفعت لا يزال يحتفظ ولو ببعض قيمته وقوته .. ومن شيمه رجال الأعمال أن ينسوا أو يتجاهلوا الاساءة التى تقع عليهم مادامت مصالحهم تتطلب منهم النسيان والتجاهل .. ولعله سيفتعل تجاهل اساءة رفعت له ..

ولم يكن رفعت يعرف رقم تليفون برعى الخاص المباشر ، ثم عرف أنه يغير رقم تليفونه الخاص كل يوم أو يومين تقريبا .. لقد كان جمال عبدالناصر أيضاً يغير رقم تليفونه الخاص كل يوم وأحيانا يغيره مرات من اليوم الواحد ، ولكنه كان رفعت يبلغ بهذا التغيير فوراً .. أن برعى محمود يضع نفسه فى مستوى عبدالناصر .. لا يهم ..

وكان يحاول الاتصال به عن طريق السكرتارية .. سكرتيرة وسكرتيرة برعى .. وقد مضت أيام قبل أن يستطيع أن يحدد موعد لقاء .. ولم يتحدد الموعد فوراً ولكن بعد خمسة أيام من موافقة برعى على لقائه من خلال اتصالات السكرتارية .. كأن رفعت شخص عادى ليس له أهمية تدنى إلى لقائه فوراً ..



واستقبله برعى محمود فى برود رغم ما كان معروفًا عنه من  
المبالغة فى المجاملة خلال اللقاءات .. هل تغير برعى بعد سنوات  
الحرب التى قضاهما فى أمريكا ، أم أنه أصبح يعتقد أن رفعت  
لا يستحق حتى مجرد هذه المجاملات الكاذبة ..

وقال برعى من خلال ابتسامة ضيقة مرة ساخرة ودون أن  
يقف لاستقباله ويشير بيده فى اإهمال إلى المقعد المجاور ..

— أهلا .. تفضل ..  
وقال رفعت وهو يتسم ابتسامة كبيرة تقطر بكل ما فيه من  
نفاق :

— إني أسف لتأخرى فى تهنئتك بالعودة .. والواقع إني  
حاولت الاتصال كثيرا لتحديد هذا الموعد ..

وقال برعى وهو يقلب فى أوراق أمامه كأنه لا يحس بوجوده :  
— مشغول .. الأعباء كثيرة ..

وقال رفعت فى استسلام ..

— أعرف .. وقد جئت لتهنئتك وفى الوقت نفسه أرد دينا لك  
على .. فأنت تعلم انى أثناء غيبتك اشتريت مزرعتك من الحراسة ..  
كنت أعلم مدى اعتزازك واهتمامك بهذه المزرعة وقد خفت عليها  
أن تبقى تحت سيطرة الحكومة فاشتريتها لأحفظها لك ..

وقال برعى دون أن ينظر اليه ..  
— لقد دفعت لى البولة ثمن هذه المزرعة ..

وقال رفعت وكأنه يتوسل :  
— ان الثمن مبهما كان لا يغنى عن المزرعة وهى تحت أمرك ..  
وقال برعى وهو يلوى شفتيه امتعاضا :

— لم أعد فى حاجة اليها .. ولم تعد تصلح بعد عشر سنوات من  
دخول أيدي غريبة عليها .. ومن الأجدى أن أبدأ فى إقامة مزرعة  
أخرى ..

ثم أخفى الورق الذى كان يفتعل قراءته ومن بين يديه واستطرد  
قائلا فى حدة :

— اسمع ياسيد رفعت .. لن نتكلم بصراحة .. انى أعرف عنك  
أكثر مما تعرف عنى .. واعرف أيضا الأغراض التى دفعتك إلى  
طلب مقابلتى .. وإذا كنت ذكيا كما يقال عنك فان ذكاؤك يجب  
أن يقصر نشاطك وتحركاتك وأهدافك على شئون نفسك ولا تحاول  
التعرض لى أو المساس بى .. كن فى حالك واتركنى فى حالى ..  
وليس فى كل مرة تسلم الجره كما يقال ..

وقال رفعت فى انهيار :

— صدقنى أنى لا أحاول المساس بك ..  
وقاطعه برعى محتدا أكثر :

— انك لا تزال تحاول ما كنت تحاوله أيام زمان .. وقد عرفت  
أنك تقول عنى أنى أدبر محاولة لقلب نظام الحكم وقاطعه رفعت  
وصوته يتلجلج :



— أبدا .. لاشك أنه كلام وصلك محرفا .. و ..

— وقاطعه برعى وهو يخطط على مكتبه بيده :

— لاجدوى للانكار .. إني واثق مما أقول .. وأحب أن أقول لك انك خدمتني بما قلته عنى فجرد اثاره كلامك أعطاني الفرصة لأفتح الموضوع للمناقشة بعد أن كنت مترددا في فتحه .. وحققت ما أريد .. إن أنور السادات نفسه هو الذى سيقبل نظام الحكم وسيبيع تعدد الأحزاب ..

وقال رفعت في استجداء :

— دعنى أشرح لك ماقلته و ..

وقاطعه برعى وهو يقوم واقفا وراء مكتبه :

— هذا يكنى .. مع السلامة ..

إنه يطرده ..

وأخرج رفعت من لدى برعى وهو فى حضيض اليأس .. ويأسه يدفع فكره إلى اتجاه جديد .. سيترك مصر كلها برعى .. يجب أن يعترف بأنه لم يعد يستطيع أن يتحداه أو يواجهه أو يتنى شره .. وإذا كان برعى سيصبح الرجل الأوحيد فى مصر فهو شخصيا لا يستطيع أن يستمر فى أعماله كرجل أعمال عادى ليست له هذه القوة التى تعود عليها .. أنه لايدرى كيف يعمل دون الاستناد إلى قوة .. وقوة عظمى .. الا إذا قبل على نفسه بأن يقوم

بعمليات بسيطة صغيرة كباقي رجال الأعمال العاديين .. وهو لايمكن أن يحتمل أن يكون عاديا ..

ولكنه لم يترك مصر أو يهرب كما هرب برعى أيام زمان .. أنه لا يستطيع أن يستغنى عن مصر واحساسه بفرحته بنفسه وقوة شخصيته لا يمكن أن يتمتع بها الا وهو يظل من شرفة بيته على النيل ويرى شهقة كل فرد فى مصر وهو يمر من أمامه فى الشارع .. ثم أن أسلوب الحكم قد تغير .. لم يعد هناك هذه الرهبة أو هذا الخوف الذى كان يقتلع قلب كل مصرى يحس أنه مهددا بغضب الحاكم .. لن يمسه أحد ولن يوجه إليه أى اتهام .. ان الحاكم وكل من حوله يعلمون أنه يحتزن كثير من الأسرار التى تمسهم .. أسرار جمعها أيام عبدالناصر ولايزال محتفظا بها .. وهم لن يمسونه لا حبا فيه واحتراما له ولا حتى للفقه به ولكن خوفا من أن يرد عليهم باذاعة هذه الأسرار ..

وكل ما يجب أن يفعله فى هذا الطريق الجديد الذى طرأ على خاطره .. هو أن ينقل مركز أعماله من القاهرة إلى لندن .. انه لايزال محتفظا بقيمته وقوته لدى الانجليز .. ولايزالون محتفظين به كرجلهم الأول فى المنطقة ..

وبدأ يتخذ كثير من الاجراءات لتحويل مركز نشاطه ومركز رصيده إلى لندن .. ثم سافر إلى هناك .. ان الانجليز أوفياء فعلا .. انهم يستقبلونه كأنه رجل عبدالناصر وكأن عبدالناصر لايزال على



قيد الحياة يحكم مصر .. ووجد كل الأبواب مفتوحة .. ووجد العمليات تمر بسهولة .. حتى في لندن ومع وجود كل هذه القوانين المحترمة هناك فرق كبير بين السهل والصعب .. بل أنه بدأ هناك بعملية كان يقدر أرباحها التي تعود إليه بخمسين ألفا من الجنيهات الأسترلينية فإذا بها تصل إلى مائة ألف .. وكأنهم في لندن يدفعون له ثمن كل كلمة ينطق بها أمامهم ..

وقد بدأ يتردد على لندن كثيرا ولكنه لم يكن يستطيع الإقامة فيها إلا أسبوعا أو أسبوعين وان كان قد أضطر مرة أن يقيم ثلاثة شهور تحت ضغط ومطالب العمل .. وكان يعود بشوق إلى مصر .. وإلى بيته المؤثث على الطراز الانجليزي .. أنه وهو في مصر يحس أن لندن بين يديه وباريس وبون وكل بلاد الدنيا .. أن مصر هي فعلا أم الدنيا ..

وكان مركز أعماله في لندن يلح عليه أن يقوم بعمليات في البلاد العربية .. أنها السوق الأوقع والأسهل .. ولكن معظم البلاد العربية لا تزال ترفضه وتحترقه ولعلها تنتظر موته كما مات عبدالناصر .. ولكن .. هناك دولة عربية لا يمكن أن ترفضه ليبيا .. لقد كان منذ قامت الثورة الليبية ونظام الحكم الجديد يعتبر كأنه الناطق باسمها أمام جمال عبدالناصر .. بل أنهم كانوا يعتبرونه كأنه هو شخصيا عبدالناصر .. أو كأنه شعار من شعارات عبدالناصر وليبيا لا تزال تعيش حياة عبدالناصر ولا يمكن أن ترفضه أو تصده .. وقد أستقبل هناك فعلا كأنه شعار عبدالناصر وتمت هناك أكبر

عملية أقدم عليها .. عملية قبلت ليبيا تقديرها بستين مليون دولار ودخل جيبه منها ثلاثين مليونا .. ربحا صافيا .. لم يكن يحلم بكل هذا .. ان العباقره يصلون دائما إلى أكثر مما يحلمون به ويقدرونه لأنفسهم ..

وقد أستمع تعامله مع ليبيا وامتد إلى بلاد عربية أخرى استطاع أن يصل إليها .. لم يكن جمع الملايين هو الذي يدفعه إلى كل هذا التوقع .. ولكنها لذة العمل ولذة الاحساس بالقوة .. وكان يعود إلى مصر وهو يحس أنه أقوى .. أقوى حتى من الاحتياج إلى الحاكم .. وبدأ يقدر برعي محمود كأنه تحتقره .. ان برعي عبدالحاكم أما هو فقد أصبح فوق كل الحكام وأقوى .. وبلغ به الاحساس بالقوة إلى حد أنه بدأ يستهين بالحاكم نفسه .. وبدأ يتكلم كثيرا ضد هذا الحاكم ويسخفه ويحذر من كل خطوة يخطوها .. بل أنه بدأ يجمع حوله الثوار القدامى من الماركسيين ومن الذين كانوا متجاوبين ومسؤولين أيام عبدالناصر .. وكان يحادثهم بصراحته كأنه يحرضهم على الثورة .. وفي الوقت نفسه يرسل المعلومات المطولة إلى الانجليز وهو يعلم أنها ستصل إلى الأمريكان .. معلومات يحاول أن يهد بها قوة الحاكم .. أنه ليس قويا في بلده ولدى شعبه .. وهو لا يدري كيف يمكن أن تتحقق الثورة ولا كيف يمكن أن يتخلص من هذا الحاكم .. كل ما يدريه هو أنه يكرهه ولا يريد به ..



وكان رفعت البيومي مستلقيا على الأريكة المريحة في صالون بيته الفخم مستطردا في ذكرياته وفي يده كأس البيرمنت من عصير النعناع وبين أصبعه سيجار مونت كريستو الفخم عندما دخل اليه «البتلر» كبير الخدم يحمل عدة التليفون .. أن لندن تطلبه .. وأخذ رفعت سماعة التليفون واستمع قليلا ثم قال في صوت حاسم :

— لا .. لا .. حول من الرصيد خمسين مليون استرليني ولا تهملك الأوراق ..

ثم ألقى سماعة التليفون وهو يلوى شفتيه امتعاضا ..

أنه لم يتعود أبدا على الأوراق لاتمام عملياته يكتفى الاتصالات .. وبعد قليل سمع أجراس الباب الرئيسى للشقة ترن .. وقبل أن يدخل البتلر ليبلغه بمن القادم ، فوجيء باثنين من ضباط البوليس يدخلون اليه وحوله أربعة من الرجال في زى مدنى لاشك أنهم من رجال المخابرات وخلفهم البتلر يتبعهم في هدوء .. وقام رفعت واقفا منطورا بعد أن ألقى الكأس والسيجار وهو ينظر اليهم في دهشة :

وقال أحد الضباط في أدب :

— هل تسمح سيادتكم بأن تصحبنا ..

وقال رفعت وهو يبذل كل طاقته ليتماسك :

— هل أمر بالقبض على .. هل أصحبكم إلى السجن ؟

وقال الضابط مبتسما في أدب :

— ربما كانت هناك مجرد أسئلة ؟

وقال رفعت وهو يحاول أن يخفى ارتعاشته :

— كن صريحا معي .. ليس الوقت مناسبا لتوجيه أسئلة

هل أحمل معي حقيبة للملابس ؟

وقال الضابط من خلال ابتسامته :

— يستحسن من باب الاحتياط ..

وقال رفعت وعيناه تترقان بريق الأمل والخوف :

— هل تسمح لي بأن أتحدث في التليفون ..

وقال الضابط في أدب :

— تفضل ..

وأمسك رفعت بالتليفون وأدار رقبا ويده ترتعش .. أنه يطلب عبدالله مجيب .. أنه أقرب المقربين إلى الحاكم .. وكان قد استطاع أن يفتعل صداقة شخصية معه وأدخله شريكا معه في إحدى العمليات التي تتم في لندن .. كان يعتمد عليه في جمع كثير من المعلومات وأيضا في تأكيد الاطمئنان على نفسه .. ولكن عبدالله مجيب لم يرد عليه في التليفون .. رد الخادم معتذرا بأنه ليس موجودا .. كيف لا يكون موجودا والساعة بلغت الواحدة بعد منتصف الليل .. لعله كان يعلم بخبر القبض عليه ويهرب منه .. وابتسم ابتسامة مرة .. انه لا يستطيع أن يلومه .. انه هو نفسه كان يهرب من مواجهة عائلات أصدقائه الذين يعتقدون وكان يؤمن أن ليس من مصلحته أن يعارض قرارا يتخذه الرئيس مادام قد أخذه ..



والتفت إلى الضابط المؤدب المهذب قائلاً :

هل أستطيع أن أضع ثيابي وأعد حقيبتي ..

وقال الضابط بسرعة :

— تفضل سيادتك ..

وقام إلى داخل البيت ولاحظ أن الضابط الآخر يتبعه ومعه اثنين من رجاله .. لقد اتجهوا وربطوا أمام باب المطبخ خوفاً من أن يهرب منهم ..

ودخل غرفة النوم وزوجته آمال لا تزال نائمة .. لقد تعودت منذ أيام أن تنام وتتركه وحده ساهراً مع ذكرياته .. وأمسك بآلة التليفون وأعاد طلب عبدالله مجيب وقال للخادم عندما رده عليه :

— اسأل سيدك إذا كان عاد إلى البيت أو لم يعد ..

وقال الخادم في أدب :

— لحظة واحدة ..

ثم عاد بسرعة وقال في التليفون :

— لم يعد سعادة البية بعد ..

والتي سماعة التليفون وبين شفثيه ابتسامة تقطر بالمرارة .. لقد أعاد الاتصال به كأنه يحاول أن يثبت عليه تهريبه منه ولكنه في الواقع كان متشبثاً بالامل .. أنه أقوى من يعرفهم ويمكن أن يعتمد عليه في مثل هذه المصيبة ..

وكانت زوجته آمال قد بدأت تستيقظ على سماع صوته وقال لها وقد بدأ يبدل ملابسه :

— أعدى لي حقيبة ملابس كاملة ..

وقالت في دهشة :

— لماذا ؟

وقال من خلال ابتسامة ساخرة :

— سأبيت الليلة خارج البيت ..

وقفزت آمال من فوق الفراش قائلة :

— ماذا تقصد ؟

وبدأ يقول لها ما يجري في كلمات مختصرة وهي تردد ..

لا يمكن .. مستحيل .. مستحيل .. ثم وضعت على كتفها الروب

دي شامبر وهمت أن تخرج إليهم ولكنه أمسك بها قائلاً في هدوء :

— لا تخرجي إليهم .. أعدى الحقيبة ..

واستسلمت وهي لا تكف عن الكلام وقد بدأت الدموع تطل

من عينيها .. بينما هو يبدل ملابسه .. لقد اختار إحدى البدل

المتواضعة التي تعود أن يلبسها أمام أصدقائه من الطبقة العادية ..

واختار رباط عنق قديم ليس فيه هذه اللمعة والفخامة التي أصبح

يختار بها أربطة العنق .. ثم بدأ يراجع ما تضعه زوجته في الحقيبة ..

ورفع منها عدة التواليت الفخمة التي تعود أن يصحبها في السفريات

ووضع بدلاً منها مجرد مشط وعدة حلاقة متناثرة .. كما ألقى

بالثياب الفخمة التي وضعها زوجته ووضع بدلاً منها ثياب

متواضعة .. وكان حريصاً على مراجعة كل أنواع الأدوية التي



يعتمد عليها في الاحتفاظ بصحته .. كل ذلك وهو يلتقي على زوجته  
تعليمات بما يجب أن تفعله أثناء غيبته .. بمن تتصل وكيف تتصل ..  
إنها المرة الأولى التي يدخل فيها السجن ولكنه يستطيع أن يتصور  
ببساطة حياة المساجين ومتطلباتهم .. ان كثير من أصدقائه كانوا  
قد دخلوا السجن وخرجوا يحكون له .. ولا يدري ماذا سيكون  
نصيبه من كل ما سمعه .. هل يعذبونه ..

وخرج إلى رجال البوليس وزوجته وراءه تصيح فيهم من  
خلال دموعها .. هل تعلمون من تقبضون عليه .. قولوا لأسيادكم  
الذين يصدرون الأوامر انهم مجانين ..

ورفعت ينظر إليها في لوم ورجاء ويحاول أن يسكتها .. ثم تقع  
عيناه على رئيس الخدم وهو واقف وراءهم يحمل لهم الحقيبة .. وهو  
هاديء بارد ولا ينطق بكلمة .. وبدأ الشك يملأ فكره .. هل هو  
منهم .. لقد مضى عليه في خدمته ثلاثة سنوات دون أن يبدو عليه  
أو منه أى شيء .. ولكن من يدري .. ان المخابرات تضع في كل  
بيت شخصية مهمة خادماً أميناً ..

وترددت خطواته كأنه بهم أن يعود إلى الداخل .. كان قد  
قرر ألا يوقظ أولاده ليودعهم .. ولكنه يحس الآن أنه يريد أن  
يراهم .. يملأ عينيه بهم قبل أن يتركهم ليغيب عنهم .. ولكن لا ..  
انه لا يحتمل أن يروه مقبوضاً عليه ..

وخرج من البيت مقبوضاً عليه ..  
وأحس كأنه يخرج من الحياة ..

...

وقد أستقبل رفعت البيومي في السجن باحترام كبير كأنه أحد  
كبار الزوار .. واطمأن بعد ساعات بأنه ليس هناك بإساءة  
معاملته .. وهو يعرف من أين تصدر هذه التعليمات .. أنها تصدر  
من الرئاسة نفسها .. ان كل ضربة كانت تقع على برعى محمود  
كانت تصدر بها الأوامر من الرئاسة أيام جمال عبدالناصر .. ولكن  
يبدو أن الرئاسة لن تأمر بإساءة معاملته ..

وقد وضعوه في زنزانة مع سجين واحد محترم .. انه الدكتور  
محمد علوان الأستاذ بالجامعة .. ورغم أنه لا يطيق أن يشاركه غريب  
في غرفة واحدة حتى لو كانت زنزانة .. ولكن ليحمد الله على  
أنه غريب محترم .. وكان كل المساجين في هذا السجن من  
المقبوض عليهم سياسياً .. ورغم أن هذا يرفع من مستوى السجن  
ويؤلف بين المساجين الا أنه لا يريد أن ينسب إلى هؤلاء السياسيين  
ويعتبر كأنه واحد منهم .. أنه شيء آخر .. شيء أعلى وأهم  
وأخطر .. ورغم أن أبواب الزنازين كانت مفتوحة والمساجين  
أحرار في اختلاطهم بعضهم ببعض إلى أن تقفل الأبواب في الساعة  
السادسة الا أنه كان حريصاً متعززاً في الاختلاط ببقية المساجين  
السياسيين .. حتى أن الجميع كانت تصلهم الأطعمة من بيوتهم



فيمدونها على بطانية تفرش على الأرض .. كل منهم يضع ماوصله بجانب ماوصل الآخر حتى يشتركوا كلهم في طعام واحد وكأنها ونبمة شعبية .. وكان هو يصل اليه الطعام من البيت وكانت زوجته تبالغ في اختيار الأنواع وتحديد الكميات .. بل انها أرسلت له يوما طبقا من « السمون فيميه » .. السمك المحبب اليه .. وثلاثة علب من الكافيار .. ولم يكن يضع ماوصله أبدا بجانب ماوصل الآخرين .. يشترك في الوليمة الشعبية .. بل كان يحتفظ بما يصله في زنزانته ويدعو اليه واحد أو اثنين ممن يختارهم من المساجين .. احتفاظا بهيبته وعلو شأنه .. وربما لأنه يتفرز من تناول الطعام مع الآخرين .. أنه لا يستطيع أن ينزل إلى نفس المستوى الذي ولد فيه .. مستوى كفر البطيخ ..

وكان أول ماشغله يوم دخل السجن هو أن يبحث عن القوة المسيطرة على شئون المساجين حتى يكسبها ويعتمد عليها .. انها قوة مأمور السجن .. وقد استطاع أن يتقرب إلى المأمور ويكسبه .. حتى أنه أصبح يترك كل المساجين ملتفين حول بعضهم البعض في فناء السجن ويجلس طول اليوم مع مأمور السجن في مكتبه .. والمأمور سعيدا متباهيا بأن يجالس شخصية هامة لها تاريخها كشخصية رفعت البيومي .. بل أن زوجته آمال بالاتصال بها أصبحت صديقة لروحة المأمور .. صداقة لم تكلفها الا الهدايا السخية .. وكان أول ما حققه له المأمور هو أن نقل من زنزانته الدكتور محمد علوان .. أنه شخص محترم ولكنه مزعج لا يكف عن الكلام ومريض لا يكف

عن الشكوى .. وأصبح رفعت يقيم وحده في الزنزانة ولا يمكن أن يعتبر ذلك حيسا انفراديا يعذب به المساجين مادام باب الزنزانة يبقى مفتوحا طوال النهار .. بل أن المأمور ترك له الباب مفتوحا أثناء الليل حتى يخفف عن نفسه إذا أصابه الأرق .. وحدث تساهل عجيب في اجراء التفتيش الذي تنص عليه لوائح السجن على كل ما ترسله له زوجته .. لقد كانت ترسل له السيجار .. ويشرب البرمنت الذي يدمنه رغم أنه من أنواع الخمور .. بل أرسلت له عدة الحلاقة التي تعودها رغم أن الأمواس ممنوع دخولها في كل السجون .. لم تعد هناك ممنوعات لكل مايريده ..

لقد أصبحت زوجته آمال هي المسئولة الوحيدة عنه سواء خارج أو داخل السجن .. كأنه لم يعد له أحد غيرها في كل الدنيا ..

وقد استطاعت أن تزوره في السجن قبل أن تنأى الزيارة لأهالي بقية المساجين .. وقالت له ما حدث بعد اعتقاله .. ان الوحيد الذي أعلن غضبه هو السفير الانجليزي .. وقد وصل إلى حد اعلان هذا الغضب والتصريح بلوم الحكومة وهو يبذل جهدا مستمرا من خلال اتصالاته حتى يفرج عنه ..

أما باقي من اتصلت بهم آمال من كبار المسؤولين وكبار الشخصيات فرغم كل ما سمعته منهم من كلمات الرثاء كأنهم يعزونها في زوجها فان أحدا منهم لم يتحرك للافراج عنه .. بل لم يكن أحد



يفكر في الاتصال بها الا بعض موظفي مكاتبه وشركاؤه يضعون أنفسهم في خدمتها وكل منهم يتمنى ألا تكلفه بشيء ..

وبدأ رفعت يضيق بالسجن .. وبدأ اليأس يزحف عليه ويحطم أعصابه .. أنه سجن لنفس الأسباب التي سجن من أجلها برعى محمود أيام عبدالناصر .. ولكن برعى لم يبق في السجن الا عشرة أيام ثم أفرج عنه وتركوه يهرب .. وقد مضى عليه الآن أكثر من شهر دون أن يحس بأن حركة تثير الأمل .. وقد استدعوه يوما واحدا إلى مكاتب المخابرات للتحقيق معه .. أنهم يوجهون إليه نفس الأسئلة التي كان يعلم أنها وجهت إلى برعى محمود عندما حقق معه .. ولعله أجاب بنفس الأجوبة التي كان برعى قد أجاب بها .. بل أنه فوجيء بأن أسمعوه تسجيلات لمعظم أحاديثه التي كانت تجري في مكتبه وفي بيته .. وقد كان أحيانا يخطر على باله بأنه محاط بآلات التسجيل حتى وهو في عز مجده أيام عبدالناصر ولكنه كان من الغرور وربما من الغباء أنه لم يحاول أبدا أن يبحث عن هذه الآلات ليرفعها من مكانها أو يفسدها .. أن برعى محمود كان في مثل غباءه ولم يحاول أن يبحث عن آلات التسجيل التي كانت تحاصره ..

ان كل أمله كما يفهم من اتصالات زوجته ورغم مضي كل هذه الأيام ينحصر في السفير البريطاني .. ولكن السفير لن يستطيع أن يصل إلى شيء الا إذا اتصلت لندن بواشنطن وتدخلت واشنطن

للافراج عنه كما أفرجت عن برعى محمود .. أنه صديق حليفها بريطانيا ورجلها الوحيد .. وقد استطاعت زوجته باصرارها أن تتصل برعى كأنها اتصلت بأمريكا .. ولكن برعى قال كلاما دائما بارعا وقال لها أنه واثق من أن التحقيق سيبرئه .. أي تحقيق .. أنه يعلم أن أي تحقيق لا يساوي أي شيء .. وهو لا يستطيع أن يأمل شيئا من برعى .. أنه ينتقم منه .. رغم أنه كان قد وافق على أن تتصل به زوجته عندما استشارته خلال زيارتها له في السجن ..

لعل برعى كان أذكى منه عندما هرب من مصر عقب الافراج عنه .. وهو كان يجب أن يهرب قبل القبض عليه وبمجرد اختفاء عبدالناصر ..

ولكن لنفرض أنه أفرج عنه فهل يهرب بعدها .. هل يهرب هو وزوجته وأولاده ويقيم في لندن التي نقل إليها مركز أعماله ولا يزال يمكنه أن يعيش فيها مستكملا كل شخصيته التي تعب في بنائها منذ أيام كفر البطيخ ..

أنه لا يدري ما سيكون عليه مصيره ..  
ان كل ما يدريه اليوم أنه لا يزال في السجن ..

( تمت )

السفير البريطاني

السفير البريطاني ( السفير )

٢٧-٢٧ : ٢٧-٢٧